فى
تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب
السياسة الصليبية للبابا إنوسنت الثالث
(1198 م - 1216 م)

تأليف
د / عبد اللطيف عبد الهادى السيد
أستاذ مساعد تاريخ أوربا فى العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة غريان - ليبيا



٢٠٠٥

في
تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب

السياسة الصليبية للبابا إنوسنت الثالث

١١٩٨ ـ ١٢١٦م

تاليف
د. عبداللطيف عبدالهادى السيد
أستاذ مساعد - تاريخ أوربا العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة غريان ليبيا

الناشر
المكتب الجامعى الحديث
١٤ ش ديبوقراط - الأزاريطة - اسكندرية
تليفاكس ٤٨٤٣٨٧٩ ٠٣ ٠٠٢

إهداء

إلى الغيورين على الدين الإسلامي والمسلمين

إلى أرواح الشهداء في فلسطين والعراق

والشيشان وكوسوفو وفي كل مكان

إلى كل هؤلاء أهدي لهم هذا

العمل المتواضع

المؤلف

د.عبداللطيف عبدالهادي السيد

الشكر وتقدير

إننى إذ أحمد الله على إعانته لى للقيام بهذا العمل المتواضع الذى كثيراً ما راودنى الفكر فى عدم إتمامه.

ولكن بعد الاطلاع والبحث فى جوانب وفكر البابا إنوسنت الثالث وعلاقته بالمسلمين وجدت أن المكتبة التاريخية فى أمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسة التى توضح الجوانب السلمية والسياسة الدبلوماسية التى مارسها إنوسنت الثالث تجاه المسلمين، والتى أثارت فى نهاية الأمر حنق بعض رجال الدين والقيادات المسيحية فى الغرب، سواء من أباطرة أو ملوك أو أمراء تجاه هذا البابا، بسبب هذه السياسة الملتوية والغير واضحة ... إلا أنه كان لإنوسنت الثالث رأى آخر حول تلك السياسة التى تحتم عليه نهجها فى الصراع الصليبى الإسلامى.

وعلى الرغم أن بعض المؤرخين فى مجال التدوين التاريخى قد قاموا بنشر بعض الدراسات التاريخية حول سياسة البابا إنوسنت الثالث العدائية تجاه المسلمين إلا أن الجانب السياسى والدبلوماسى لم يحظ باهتمامات المؤرخين بالقدر الذى يشبع نهم الباحث.

وعلى هذا فإننى أتوجه بالشكر لأستاذى الجليل، الأستاذ الدكتور / قاسم عبده قاسم الذى أشرف على رسالة الدكتوراه الخاصة بى، والذى تابع بدقة من خلالها النصوص والوثائق التاريخية المتعلقة بالبابا إنوسنت الثالث، خاصة مجموعة الخطابات والرسائل والتشريعات، التى بفضل متابعته لها شجعنى ذلك فى النهاية على أن أجعلها ملحقاً ضمن هذه الدراسة، لما لها من قيمة وفائدة كبيرة للدارسين والباحثين المتخصصين فى مجال التدوين التاريخى، خاصة فترة العصور الوسطى، فله منى عظيم الشكر والامتنان.

كذلك أخص بالذكر الأستاذ الدكتور / **عبد الغنى محمود عبد العــاطى**، عميـد آداب المنصورة لمراجعته لهذه الدراسة وقد أفادنى سيادته ببعض توجيهاتـه لـى، فله منى الشكر والتقدير؛ كما أخص بالذكر الأستاذ الدكتور / **وسام عبد العزيز فرج** رئيس قسـم التـاريخ بـآداب المنصـورة الـذى دائمـاً مـا تكـون ملاحظاتـه غايـة فـى الأهمية وتوجيهاته جديرة بالثقة والاحترام فله منى كل الشكر والتقدير.

ولايفوتنى أبداً الأخ الصديق والزميل الفاضل الدكتور/**محمد مؤنس أحمد عــوض** لسعيه الدؤوب، وحرصه الدائم على أن يكون عملى دقيقـاً، فنعـم الأسـتاذ المخلـص الذى أكن له كل الاحترام والتقدير.

وفى النهاية ... إذ أشـكر المولـى عـز وجـل علـى أن بلغنـى غـايتى فـى هـذه الدراسة، أدعو أن تحظى باهتمام المؤرخين والباحثين فى مجال التدويـن التـاريخى المتعلق بالعلاقات بين الشرق والغرب.

والله هو الموفق والمستعان

المؤلف

د/ عبد اللطيف عبد الهادى

المحتويات

مقدمة المؤلف

تتعلق هذه الدراسة التى بين يدى القارئ بحقبة أو فترة من الزمن امتدت من ١١٩٨ ـ ١٢١٦م أى على طول ثمانى عشرة سنة من عمر مركزى الثقل فى الشرق الأدنى الإسلامى وهما مصر والشام، وينسحب ذلك على بعض أقاليم أعالى العراق وآسيا الصغرى، وقد شهدت هذه الفترة حملتين صليبيتين على منطقة الشرق، الأولى عام ١٢٠٢ـ ١٢٠٤م، وهى ما عُرفت بالحملة الصليبية الرابعة "المنحرفة" على القسطنطينية، والثانية على مصر عام ١٢١٥ـ ١٢١٧م. أما فى الغرب، فقد شهد حملتين صليبيتين أيضاً، إحداهما ضد المسلمين فى الأندلس ١٢١٢م، والثانية ضد الخارجين على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية من المسيحيين فى جنوب فرنسا ١٢١٣م

الواقع أن الحملات الصليبية أخذت لنفسها شعاراً زائفاً هو إنقاذ بيت المقدس من أيدى "المسلمين" ولو صدقت لقالت امتلاكه لنفسها واحتلالها منطقة الشرق الأدنى الإسلامى بأكملها بعد تفريغها من أصحابها الحقيقيين أياً كان دينهم ومذهبهم. وهو نفس المخطط الذى يحدث اليوم فى فلسطين مع تغيير المسمى التاريخى "الحملات الصليبية" إلى " الحرب على الإرهاب" أو تعريف آخر أكثر زيفاً هو ما يسمى "بالعولمة" وهو درب من دروب الاستعمار الحديث.

على كل حال فإن موضوع الحروب الصليبية غاية فى الأهمية، ويجب علينا نحن المسلمون أن نَلُم بهذا الموضوع ونُعرف أبعاده.

فمنذ أن بعث الله نبينا محمد بن عبد الله ﷺ برسالة الإسلام العظيمة وأعداء الإسلام يتربصون به وبالمسلمين محاولين القضاء عليهم وعلى الدين الإسلامى معاً. فما يكاد يُتاح لهم فرصة إلا انتهزوها ليكيدوا للإسلام والمسلمين.

والذين يرفعون لواء العداء للإسلام والمسلمين هم اليهود والنصارى، ويقول الله عز وجل فى كتابه الكريم **"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن أتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير"**

فى حقيقة الأمر هناك من هم أشد خطورة على الإسلام من اليهود والنصارى، وهم أولئك المسلمون الذين يتعاونون مع اليهود والنصارى ضد الإسلام والمسلمين، فهم فى مثل هذه الأيام أدوات تنفيذ لمخطط أعداء الإسلام، وهؤلاء يجاهرون بصراحة بعدائهم للإسلام والمسلمين، ويقول الله عز وجل عنهم فى كتابه "يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين" (سورة المائدة - الآية ٩٠).

وموضوعنا الذى يمثل نمطاً واضحاً ونموذج لإبراز كراهية الغرب للإسلام والمسلمين يتمثل فى كراهية أحد بابوات الكنيسة الكاثوليكية للدين الإسلامى ألا وهو البابا إنوسنت الثالث - *"Innocent III"* "١١٩٨- ١٢١٦م" الذى حاول جاهداً حشد طاقات قوى الغرب الأوربى فى شكل حملة صليبية ضد المسلمين فى كل مكان، سواء فى الأندلس أو مصر أو بلاد الشام.

هذه الحروب الصليبية لاتزال تُشن ضدنا من قبل الغرب الأوربى حتى اليوم أياً كانت أشكالها أو ألوانها، سياسية كانت أو عدائية، المهم أنها لم تتوقف بعد، منذ أيام إمبراطورهم هرقل، إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية .

إن الصورة أشبه إلى حد كبير، أو تكاد تكون قريبة جداً، فأعداء الإسلام رغم اختلاف لغاتهم وأجناسهم وأهدافهم إلا أنهم حريصون على أن يكونوا وحدة واحدة ضد الإسلام والمسلمين الذين يعيشون الآن حياة الضعف والتفكك والتشرزم كما كان فى العصور الوسطى تماماً، وموضوعنا الذى نحن بصدده يمثل منعطفاً تاريخياً خطيراً فى تاريخ الصراع بين الشرق والغرب، أو بمعنى آخر، بين المسلمين من جهة واليهود والنصارى من جهة ثانية، وذلك عند نهاية ق ١٢م وبداية ق١٣م من خلال كتابات البابا إنوسنت الثالث، الذى يعد من أشد المتعصبين للديانة المسيحية وأبغضهم كرها ومقتاً للإسلام والمسلمين.

وعلى الرغم من المؤلفات العديدة التى تناولت حياة إنوسنت الثالث وتاريخة وعلاقة المسلمين بالصلبيين فى عصره، إلا أن أحداً من الباحثين لم يعرض بشكل واضح علاقة هذا البابا بالمسلمين مثلما تقدم هذه الدراسة لهذه العلاقة. كما أن أحداً من الباحثين لم يعرض من قبل ما تقدمه هذه الدراسة من نقل لنصوص ووثائق وكتابات إنوسنت الثالث إذ تقدم الدراسة ترجمة باللغة العربية أربعة، عشر نصاً أصلياً كتب أصلاً باللغة اللاتينية والفرنسية القديمة. فهذه أول مرة تنقل فيها هذه النصوص إلى اللغة العربية مما يساعد كثيراً من الباحثين والمتخصصين فى مجال الحروب الصليبية وييسر لهم مهمة البحث فى هذا المجال.

كما تؤكد الدراسة على أن ما تتعرض له أمتنا العربية فى الوقت الحاضر إنما يمثل حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب أو هى امتداد لما كانت عليه الشعوب العربية والإسلامية فى العصور الوسطى فتكون الدراسة بذلك ذات قيمة فى توجيه الأمة نحو الطريق السليم فى كيفية التصدى للعدوان فى الوقت الحاضر خاصة وأن قوى البغى والعدوان فى هذا العصر أعتى وأعنف مما كانت عليه من قبل ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة فى كشف أساليب الأعداء من اليهود والنصارى أو غيرهم أينما كانت هذه الأساليب، سواء أكانت عدائية أو سلمية وكيفية التخطيط لمواجهتها.

والبابا إنوسنت الثالث واحد ممن لجأوا إلى استخدام الدبلوماسية والعسكرية معاً من أجل السمو البابوى من جهة والسيطرة على الأراضى الفلسطينية والعربية من جهة ثانية.

كما ترجع قيمة الدراسة هنا فى أن الباحث اعتمد على المصادر الأصلية العربية منها والأجنبية فى كشف غوامض الأمور للوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر الإمكان.

ومن الأهمية بمكان أن الباحث قام فـى البـاب الأخير مـن الدراسـة بـأن جعلـه ملحقاً يتضمن الترجمة العربية لكتابـات وتشـريعات ورسـائل إنوسنت الثـالث، وهـى فـى مُجملها تكفى لأن تكون كتابًا منشوراً بين يدى البـاحثين والدارسـين المتخصصيـن فـى تاريخ الحركة الصليبية على وجه الخصوص وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب على العموم للوقوف على حقيقة العداء وطبيعة السياسة الغربية تجاه المسلمين فى الشرق.

ولا يفوتنـا هنـا الإشـارة فـى هـذا المجـال إلـى مـدى الجهـد والصعوبـات التـى واجهها الباحث للحصول على هذه الوثائق التاريخية الهامة من جهة وما واجهـه مـن عناء فى نقلها إلى اللغة العربيـة مـن لغتهـا الأصليـة وترجـع قيمـة هـذه الوثـائق فيمـا تحتوى عليه من إشارات خطيرة لا يمكن الاستغناء عنها عند تنـاول مرحلـة هامـة فـى تاريخ الحروب الصليبية عند مطلع ق ١٣م.

كما تجدر الإشارة إلى أن الباحث اتبـع المنهـج العلمـى القـائم علـى استقصاء الحقـائق التاريخيـة مـن المصـادر الأصليـة المعـاصرة والغير معاصرة، القريبـة منهـا والبعيدة أيضاً للتحقق من صحة الحقائق التاريخية.

هذا عن أهمية الدراسة وقيمتها التاريخية، أما من حيـث تبويـب الدراسـة فقد قسّم الباحث الدراسة إلى ثلاثة فصول رئيسية وملحقـاً يتضمـن الوثـائق الأربعة عشـر المشار إليها من قبل، هذا بخلاف المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر التى تخدم البحـث والفصل الأول يأتى تحت عنوان " إنوسنت الثالث والمجتمـع الأوربـى" ويتضمـن هـذا الفصـل السياسة التى اتبعها إنوسنت الثالث تجاه القوى الأوربيـة المختلفـة سـواء علـى مسـتوى الحكام أو الأمـراء أو حتـى رجـال الديـن مـن أجـل توحيد صفوفهـم وحثهـم علـى نبـذ الخلافات والمنازعات فيما بينهم بُغية إعداد حملة صليبيـة ضخمـة ضـد المسـلمين فـى مصر والشام من أجل استرداد بيت المقدس والممتلكات الصليبية التى استردها صـلاح الدين والمسلمين من قبل.

كذلك لم يغفل إنوسنت الثالث أهمية القوى التجارية الإيطالية "بيزا ـ جنوة ـ البندقية" وما لها من دور فى إعداد الأساطيل التى تنقل الصليبيين إلى الشرق. وهذا ما ستقدم له الدراسة بشئ من التفصيل فى هذا الفصل.

كما يبرز هذا الفصل أهمية وقيمة مصر فى المنطقة وتأكد إنوسنت الثالث بعد مرور قرن "ق ١٢م" فى تاريخ الحركة الصليبية أن مصر هى المفتاح إلى بيت المقدس وأن السيطرة عليها معناه السيطرة على بيت المقدس، فدشن حملة صليبية ضخمة لضرب مصر والاستيلاء عليها، وعقد مجمعاً كنسياً ضخماً فى اللاتيران عام ١٢١٥م بهذا الخصوص، فكانت الحملة الصليبية الخامسة على مصر.

وسوف يوضح هذا الفصل جهود إنوسنت الثالث لم تحقق أهدافها لسببين رئيسيين أولهما أن إنوسنت الثالث كان يسعى إلى علو كعب الكرسي البابوى فوق الجميع بما فى ذلك الحكام والأباطرة المسيحيين، مما أدى إلى دخول البابوية فى صراعات داخلية وانشغلت بشكل كبير عن الاهتمام بالقضية المصرية أو قضية الشرق الأدنى الإسلامى، هو ما خصصنا له الفصل الثانى.

أما الفصل الثانى فيأتى تحت عنوان "الصراع البابوى مع الأباطرة الرومان"، وهو فى نهاية الأمر يخدم ـ من وجهة نظر إنوسنت الثالث ـ مسألة استرداد الأراضى المقدسة فى فلسطين، ولكن هذا الصراع أثبت بشكل قاطع أن دعوى البابوية وزيف أكاذيبهم كانت هراء وأن ما يسمى بالحروب الصليبية ليست إلا وسيلة لخدمة أطماعهم الشخصية سواء من حيث اتساع رقعة الأراضى الكنسية أو سمو الكرسي البابوى فوق السلطة العلمانية لجميع الحكام والأباطرة الغربيين. وهذا هو نفس ما يحدث اليوم فى فلسطين والعراق وللمسلمين فى كل مكان، إذ تقوم إدارة أمريكية متعصبة مستغلة القوة المسلحة لتحقيق أهداف شخصية واضحة، لأن ما أعلنته من حرب على العراق وأفغانستان، وتشجيعه لليهود فى فلسطين على ارتكاب أبشع الجرائم ليس إلا مخططاً على غرار ما قام به إنوسنت الثالث من قبل فى ق١٣م.

أما الفصل الثالث من الدراسة فيأتى تحت عنوان : إنوسنت الثالث والمسلمون وفى هذا الفصل تبرز الدراسة السياسة التى ابتعها إنوسنت الثالث تجاه المسلمين، وهى سياسة ذات شقين، الشق الأول يقوم على أساس التودد والتفاهم مع المسلمين حول قضية أسرى الحرب المسيحيين ، ومحاولة إنوسنت الثالث فك أسر هؤلاء اللاتين، أو على حد تعبير إنوسنت الثالث نفسه "تحرير المسيحيين من أيدى المسلمين" . كما تضمنت هذه السياسة قيام علاقات اقتصادية هدفها فى النهاية تقوية التجارة والاقتصاد اللاتينى فى الشرق، وفتح أسواق لتجارة الغرب الأوربى هناك.

وكان من أهداف إنوسنت الثالث أيضاً نشر الديانة المسيحية بين المسلمين حتى بين الحكام أنفسهم.

كما يتضمن هذا الفصل أيضاً حرص البابا إنوسنت الثالث على تحقيق ما أخفقت فيه الحملات الصليبية العسكرية من استرداد للأرض المقدسة خلال القرن ١٢م؛ فقد ظن أن الدبلوماسية ربما تنجح فى قيام كيان صليبى يكون بيت المقدس قاعدة له للتبشير بالديانة المسيحية هناك.

ويتضمن هذا الفصل إبراز دور مصر الريادى فى المنطقة العربية الإسلامية، وأن مصر بالفعل قلعة الإسلام والمسلمين وهى الصخرة التى عليها تتحطم أحلام الطامعين والمعتدين طالما كان على عرشها حاكمًا قوياً ومخلصاً للإسلام والمسلمين.

أما ملحق الدراسة فيتمثل فى مجموعة الوثائق البابوية والتى تتمثل فى أربعة عشر وثيقة ما بين خطاب ورسالة وتشريع، وقد قام الباحث بنقل هذه المجوعة إلى اللغة العربية مع الحفاظ على المضمون، ولم يخرج الباحث عن النص الأصلى إلا فى بعض الكلمات التى كان إنوسنت الثالث ينعت فيها المسلمين بنعوت غير إنسانية كأن ينعتهم، بالكفرة، الملحدين، الضالين وغيرها ... وهى ألفاظ تعبر عما يجيش فى صدر إنوسنت الثالث من أحقاد وكراهية للإسلام والمسلمين. كما قام الباحث بوضع تقدمة لكل رسالة أو نص موضحاً الأسباب والمناخ الذى أدى إلى كتابة أو تدوين الرسالة.

وترجع قيمة هذه الوثائق مرة أخرى فـى أنها تكشف عن إماطة اللثام عما اكتنف بعض جوانب البحث من غموض. كما تكشف عما يجيش فى صدور قادة الغرب من إصرار للاستيلاء على المنطقة العربية والإسلامية، وهى ذات السياسة التى يحيكها الغرب الأوربى والأمريكى لتحقيق نفس الغرض الآن.

وفى النهاية يقوم الباحث بوضع خاتمة تتضمن النتائج التى أمكن التوصل إليها مثل إبراز شخصية إنوسنت الثالث بين بابوات الغرب الأوربى فى العصور الوسطى والأسباب التى أدت إلى تفوقه على أقرانه وجعلت منه شخصية بارزة فى تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة والكرسي البابوى بصفة خاصة.

كما ستوضح الدراسة فى الخاتمة الأسباب التى أدت إلى إخفاق المشروع الصليبى للبابا إنوسنت الثالث "١١٩٨ - ١٢١٦م" مبرزاً الأطماع الشخصية سواء عند البابا أو الحكام والأباطرة والأمراء.

وفى الخاتمة أيضاً سوف يقدم الباحث ما توصلت إليه الدراسة من جراء السياسة المزدوجة للبابا إنوسنت الثالث تجاه المسلمين مبيناً الأسباب التى أدت إلى إخفاقها هى الأخرى.

كما تبرز الدراسة فى الخاتمة أوجه الشبه والاختلاف بين أطماع الغرب الأوربى فى العصور الوسطى والغرب الأوربى والأمريكى فى الوقت الحاضر فى العالم الإسلامى مبيناً أنها سياسة واحدة وهدف واحد .

الفصل الأول

إنوسنت الثالث والغرب الأوربى

- إنوسنت الثالث ودعوة الغرب الأوربى إلى نبذ الخصومات والتعاون فيما بينهم
- إنوسنت الثالث وتدشين حملة صليبيـة ضد المسلمين فـى الشـرق، ثم انحـراف الحملة.
- إنوسنت الثالث ومجمع اللاتيران الرابع عام١٢١٣/ ١٢١٥م
- إنوسنت الثالث وحملة الاسترداد الصليبية فى الأندلس ١٢١٢م
- إنوسنت الثالث والحملة الصليبية الخامسة على مصر ١٢١٥/ ١٢١٧م

اعتلى إنوسنت الثالث العرش البابوى سنة ١١٩٨م، وكان الغرب الأوربى لم يلعق بعد جراحه الدامية منذ هزيمة الصليبيين أمام صلاح الدينى الأيوبى وما أدت إليه معركة حطين من ضربة قاتلة للبابا أربان الثالث الذى أزعجه النبأ، فمات من وقع الصدمة، فخلفه البابا جريجورى الثامن الذى لم تطل أيامه أكثر من شهرين. لكنه دأب خلال هذين الشهرين على الدعوة الحارة لحرب صليبية جديدة يشنها الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى(١). وأصدر من أجل ذلك مرسومه البابوى الذى اقترح فيه على الدول الأوربية أن يهادن بعضها البعض الآخر مدة سبع سنوات تكرس خلالها هذه الدول جهودها لغسل عار حطين(٢).

كان البابا إنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) شديد التهلف لضرب المسلمين فدشن بابوتيه بالدعوة لحملة صليبية كانت صيحة التجمع فيها ذلك النداء المحبب إلى نفوس جمهور المسيحيين الأوربيين وهو "بيت المقدس" الذى من أجله - كما قالوا - كانت الحملة الصليبية الأولى، ثم كانت الحملة الصليبية الثانية بسبب الخوف عليه - كما ادعوا، ثم كانت الحملة الصليبية الثالثة من أجل دفع ما عُرف بالخطر الصلاحى. وكان لكلمة "القدس" رنينها السحرى عندهم.

ويلاحظ أن إنوسنت الثالث - فى سبيل تحريك أوربا - نهج سَمت أربان الثانى منذ مائة سنة من قبل، فقد أراد كلاهما أن تكون الحرب بابوية خالصة حيث ركز على إثارة الشعوب المسيحية الأوربية.

وإذا كان البابا أربان الثانى فى الحملة الصليبية الأولى قد تجاوز الإباطرة والملوك والأمراء وتناساهم عامداً(٣). فإن إنوسنت الثالث الذى كان رجلاً ألمعياً مثقفاً فى علم اللاهوت المسيحى كان يدرك أن حاجته الملحة فى حشد حملة لتحقيق دعوته الصليبية يتطلب أن يسود الهدوء جبهة الملوك والحكام، ومن ثم كاتبهم مكاتبة المولى للتابع، والسيد للمسود، وصاحب اليد العليا على من دونه، ذلك لأنه كان يرى أن

ـسوية هى السلطة العليا فى العالم وأن بقية الحكام : أباطرة وملوكاً وحكاماً دونها، ويستمدون منها قوتهم فى الحكم(٤).

واستعمل فى الوقت ذاته ـ وبصورة واضحة ـ الأساقفة والديريين وكبار رجال الدين فى تحريك الشعوب، كما اهتم بضمان وقف المدن التجارية الكبرى كجنوة والبندقية وبيزة إلى جانبه وفى خدمة دعواه، فبعث إلى كل واحدة واحداً من كرادلته ممن كان يعدهم بمنزلة نفسه، ومعنى هذا أنه فى الوقت الذى كان يرفض فيه الاعتراف بمكانة العلمانيين الكبار من رجال السياسة فى ذلك العصر، لم يكن يستطيع ن يتجاهل ضرورة مساهمتهم "المالية" في الحملة الصليبية الرابعة والحملات الصليبية الأخرى التى قامت فى عصره فكتب إلى الامبراطور البيزنطى الكسيوس أنجيلوس الثالث كتاب يلومه فيه على تراخيه فى مد يد المعونة من أجل تخليص بيت المقدس من أيدى المسلمين (٥)، ويتهمه بأنه قصر فى ذلك بما لا يتفق ومنزلته كحاكم مسيحى، وخاطبه بلهجة تنضح بالاستعلاء؛ الأمر الذى ربما كان له أثره فى نفوس كبار رجال الحملة الصليبية الرابعة ؛ وربما كان مشجعاً لهم على توجيه الحملة إلى بيزنطة وليس للقوة الإسلامية فى مصر أو الشام كما كان مفروضاً ومفهوماً عند الشعب المسيحى.

أما فى فرنسا وانجلترا فلم تكن مهمة الرسول البابوى ميسرة لما كان بين ملكيها فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد من نزاع يتمنى فيه كل منهما للآخر الهزيمة، وكان البابا يسعى لعقد السلم بينهما، فإن لم يتمكن من ذلك فلا أقل من هدنة بين الملكين مدتها خمس سنوات، وفشل إنوسنت الثالث فى تحقيق الصلح الدائم، ولكن نجح ـائبه بطرس الأمالفى فى حمل الملكين فى يناير ١١٩٩م على عقد هدنة لتلك المدة وبدى وكأن كلاً منهما قد اطمأن إلى منافسه فى ظل الرعاية البابوية.

وإذا كانت الوساطة البابوية قد نجحت فى تهدئة ما بين العاهلين الغربيين الأوربيين فإن نجاحها كان مبتوراً، يدل ذلك على أن الحملة تأخرت عن الموعد المحدد الذى حدده البابا لخروجها وهو مارس ١١٩٩م حتى انقضى العام، مما حمل البابا

على أن يبعث برسائل إلى رؤساء الأساقفة وكبار رجال الدين وإلى بطرق بيت المقدس يفسر لهم سر هذا التأجيل ويبدو أن الجانب المالى هو الذى كان يشل حركة حشد الجيوش المسيحية. نستدل على ذلك من رسالة بابوية (٦) يلح فيها البابا إنوسنت الثالث على رؤساء الأساقفة أن يجبوا مبالغ حددها لهم قدّرها بـ ٢,٥٪ من دخول رجال الدين لتمويل الجيش الصليبى المزمع إنفاذه إلى فلسطين، كما أن البابا إنوسنت الثالث أعلن انه هو وكرادلته وكوادره الكهنوتية سوف يدفعون "العشر من دخولهم فى السنة التالية" (٧). حتى يمكن حشد قوة صليبية تكون على مستوى الهدف؛ ويُلاحظ أن هذه هى أول ضريبة مالية رسمية فى تاريخ الكنيسة ولايزحزحها ما يُعرف بضريبة "العشر الصلاحى".(٨)

بل أن البابا زاد على ذلك بأن أعلن أن من حق الكنيسة الاستيلاء على أراضى الهراطقة، وأن تنتزع من الملك المتقاعس عن نصرة الصليب أرضه ومملكته وتعطيها لملك كاثوليكى غيره تملأ قلبه الحماسة الدينية، ولكن يعوزه السند المالى(٩).

والحق أن البابا إنوسنت الثالث كان قادراً على أن يصرح جهراً بما كان يسعى إليه من سبقوه ولكن يخشون الإفصاح عنه، حتى ولو كان ذلك من أجل شراء المحاربين والسلاح (١٠). ونعرف أنه بعد أقل من ثلث قرن استغل الفرسان التيتون هذا الأمر فى تقوية قلعتهم المعروفة باسم مونتفرات أو "القرين" الواقعة إلى الشمال الغربى من عكا حيث اتخذوها مركزاً لغاراتهم ضد المسلمين(١١).

وليس من شك فى أن رجال الدين فى أوربا خافوا من هذه الضريبة المالية، مما حمل البابا على أن يعلن لهم أنها "مؤقتة" وأن ليس عند البابا النية أبدا فى أن تصبح لهذه الضريبة صفة الاستمرارية مستقبلاً (١٢).

على أن ذلك التصريح ـ رغم صدوره من البابا ـ لم يبدد خوف رجال الدين، لأن عدم رغبتهم فى دفع شئ من أموالهم ـ حتى ولو كان قدرا تافها ـ كان أقوى مما تذرع به البابا الذى راح يصرح بأن هذه الضريبة إنما هى من أجل الصالح المسيحى.

بل لقد عدّها بعضهم ـ حسبما وصفها أحدهم ـ بأنها "ذريعة ابتزاز" *axtorsio argumentosa* " بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين هاجموا البابا من أجل هذه الضريبة على الرغم من أن بعض هؤلاء المهاجمين كانوا من رجال المنظمات الدينية التى تتبع البابوية مباشرة ويفترض فيها أنها أول من يسعى لصالح الحجاج المسيحيين، ولكن هذه المنظمات الدينية الحربية كانت قد أصبحت مؤسسات تجارية إلى جانب سمتها الدينية، إذ كانت تقوم بممارسات تجارية لبعض الأمراء والملوك، نتبين ذلك من دراسة (١٣) حديثة صدرت سنة ١٩٧٣م توضح ما كانوا يقومون به من "عمليات مالية" يقدرون فيها أرباحهم، ومن ثم فلا نعجب إذا رأيناهم يتحركون بما يترجم عن عدم رضائهم عن هذه الضريبة التى هى من أجل أغراض دينية يزعمون أنهم قد كرسوا جهدهم وحياتهم من أجلها، ونستدل من وثائق ذلك العصر التى وصلت إلينا، على أن هنرى الثانى ملك انجلترا أرسل قدراً كبيراً من المال إلى الفرسان الداوية "*Templers*" والاسبتارية "*Hospetalers*" لسد احتياجات الأحرام المسيحية فى فلسطين وللصرف منها حين يزور هذه الأحرام حين ينعقد الصلح بينه وبين فرنسا.

ونسمع فى سنة١١٩٩ أن أسقف طبرية بعث إلى البابا يشكو إليه الداوية فى رفضهم إعطاءه مبلغاً يدينهم به قدره ألف وثلاث مائة قطعة ذهب، وتأزمت الأمور بين الطرفين تأزماً أدى به لأن يتدخل بنفسه لفض النزاع فلم ينجح وكان فشله دليلاً على أن الجانبين يؤثران المال على إطاعة أمره.

أما ألمانيا فكانت تجتاز فترة صراع داخلى مرير بين المطالبين بالعرش هناك، وكان هناك منافسان قويان هما فيليب دوق سوابيا وأوتو الرابع، ويرى كل منهما نفسه أحق بأن يكون صاحب الأمر، وكانا متساويين فى النفوذ والقوة، ومن ثم فليس أن نتوقع أن تجد دعوة البابا إنوسنت الثالث من هذين المتنافسين أو من أحدهما ترحيباً.

هذا جانب من المُناخ فى أوربا والذى قامت فيه دعوة البابا إنوسنت الثالث للحملة الصليبية بعيداً عن مستوى العامة ونستدل منه على جانب هام من دعائم الحركات السياسية والحربية فى ذلك الوقت.

ولما كان موضوع دراستنا لايتصل بالحملة الصليبية الرابعة إلا عرضاً، وما يهمنا هنا هو موقف البابا إنوسنت الثالث من هذه الحملة كجزء من سياسته الصليبية التى هى موضوع دراستنا.

فمنذ ربع قرن كتب لوبتز - وهو العالم باقتصاديات العصور الوسطى الغربية - يتهم إنوسنت الثالث فى مسألة تغيير مسار الحملة الصليبية الرابعة من مصر إلى القسطنطينية، ويضيف إليه صراحة البنادقة وبعض كبار الفرنسيين الإقطاعيين قائلاً "إن هؤلاء الثلاثة خططوا للحملة الصليبية الرابعة ضد "الامبراطورية البيزنطية" ويؤكد أن هذا التبديل فى المسار لم يكن ابن ساعته. ولكن هل كان ذلك حقاً ؟

وهل يستقيم ذلك مع حنق البابا على الصليبيين حينما بلغته الأخبار بمحاربتهم المسيحيين فى زارا، وحنقه عليهم أيضاً حين واجه المندوب البابوى، الكاردينال بطرس دوق أمالفى ولم يقبل الأخير المندوب البابوى إلا واعظاً لا مندوباً؟

ثم هل نتهم البابا باضطلاعه مع البنادقة وكبار الفرنسيين بتوجيه الحملة الصليبية الرابعة ضد بيزنطة وهو الذى بعث إلى الصليبين بعدئذ برسوله بطرس لوتشيديو ينهاهم نهياً صريحاً عن مهاجمة أى بلد مسيحى ؟

ثم أليس إنوسنت الثالث هذا نفسه الذى رد بكتاب على الامبراطور الكسيوس الرابع يطمئنه فيه أنه لن يقبل ما يفكر فيه كل من فيليب دوق سوابيا والكسيوس الشاب من مهاجمة القسطنطينية ؟

ثم هل يُعقل من رجل أصدر قرار الحرمان ضد الصليبيين لمهاجمتهم المسيحيين - أياً كان مذهبهم - أن يُتّهم بأنه دبر الحملة الصليبية الرابعة لتكون حملة حربية ضدد الامبراطورية البيزنطية وليس ضد المسلمين ؟

فى حقيقة الأمر، وللإجابة على هذه التساؤلات يمكن القول، ودون تردد أن البابا إنوسنت الثالث لم يكن فى نيته وضميره أن تتوجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية عند الإعداد لها، أو حتى بعد توجهها إلى الشرق. وحتى عندما كان الصليبيون فى زارا لم يكن يعلم البابا إنوسنت الثالث بنوايا الأمراء الصليبين وقادة الحملة الصليبية الرابعة، الذين أضمروا وأخفوا سراً عن البابا توجيه الحملة إلى القسطنطينية، خاصة دوق البندقية والملك الألمانى حيث تضاربت المصالح الشخصية لقادة الحملة ووجدوا فى انحراف الحملة عن وجهتها من مصر إلى القسطنطينية فرصة لتحقيق مآربهم فى ممتلكات الامبراطورية البيزنطية، وأنه بذلك يمكن أن يضمنوا تحقيق مكاسب فى إمبراطورية تعيش أسوأ حالتها فى ظل اضطرابات داخلية، بدلاً من مكاسب بعيدة فى الشرق وغير مضمونة (١٤).

ومن جهة أخرى ربما أقام قادة الحملة حساباتهم على أساس أن إنوسنت الثالث سوف يرحب بتوجههم إلى القسطنطينية لتحقيق دمج وإخضاع الكنيسة الأرثوذكسية تحت سيادة الكرسي البابوى فى روما (١٥) وهو حُلم كان يراود بابوات العصور الوسطى فى روما، وطالما كافحوا من أجل تحقيق هذه الغاية. ولعل هذا هو السبب الحقيقى لسكوت البابا إنوسنت الثالث عن جرائم المسيحيين فى العاصمة البيزنطية المسيحية، فكان ذلك وصمة عار فى جبين إنوسنت الثالث بصفة خاصة والحملات الصليبية بصفة عامة (١٦).

على أية حال، حاول البابا إنوسنت الثالث أن يغطى على مآثم وجرائم الحملة الصليبية الرابعة وذلك بتوجيه دعوته إلى رؤساء الأساقفة وكبار رجال الدين من أجل إعداد حملة صليبية جديدة، لأن مآثم الحملة الصليبية الرابعة ربما كشفت النقاب عن أهداف البابوية المزيفة فقامت حركات هرطقية فى جنوب فرنسا ضد تعاليم الكنيسة الكاثوليكية (١٧) حيث قامت جماعة من المسيحيين فى جنوب فرنسا أطلقوا على أنفسهم اسم الكاثاربيين (أى الأطهار) وهم جماعة خالفوا فى مذهبهم المذهب

الكاثوليكى "مذهب بطرس والدو" والكاثاريون جماعة يشكلون فى مذهبهم شكلاً من أشكال الديانة الثنائية خليطاً من المسيحية والزرادشتية، ومذاهب شرقية أخرى كان "مانى – *Manes*" قد دعا إليها فى الامبراطورية الرومانية فى القرن ١٢م، وكان الكاثاريون يعتقدون أن هناك قوتين عالميتين متساويتين: جهوفاه "*Jehovah*" إله النور والخير الذى يحكم الروح الطاهرة الحقيقية، ولوسيفير "*Lucifer*" خالق العالم المادى وحاكمه، وبالنسبة للكاثاريين لم يكن هناك تجسد حقيقى للمسيح على عكس ما تقول التعاليم المسيحية. إذا كان المسيح روحاً خالصةً، وجسده جسد شبح، بحيث أمكن للعذراء أن تحمله بلا عناء. والطريق الذى أشار إليه المسيح – أى إنجيلة – لا يؤدى إلى إعادة تجسد، وإنما إلى التحرير الكلى للروح الحرة من العالم المادى الذى ولد من أجساد البشر بفعل الرغبات الجسدية (١٨).

ولكن أياً كانت معتقدات أصحاب هذا المذهب الكاثارى فى جنوب فرنسا، والمناهض للمذهب الكاثوليكى للكنيسة الرومانية، فأنه كان هناك دوافع وأسباب قد شجعت على انتشاره هناك فى إقليم اللانجدوك منها: أن الكنيسة الكاثوليكية فى إقليم اللانجدوك كانت فقيرة ومحلية ومتهاونة فى واجباتها، كما أن قساوستها كانوا دنيويين وكانوا من أقارب الأرستقراطية المحلية.

وكانت معاداة رجال الدين قوة شديدة زاد من لهيبها عبادة المرأة التى زرعها شعراء التروبادور من خلال ديانة هزلية مؤلفة، نصفها جاد والنصف الآخر تأليف أدبى تظاهرى.

وكانت السلطات العلمانية ضعيفة مثل السلطات الكنسية، فقد كان كونتات تولوز يملكون أملاكاً شاسعة،ولكن سلطانهم على البرجوازية الغنية والنبلاء المشاغبين كانت غير فعالة (١٩).

لكن ما موقف إنوسنت الثالث تجاه هذه الجماعة التى تهدد بشكل خطيرومركز مكانة العقيدة الكاثوليكية.

لقد عقد إنوسنت الثالث العزم على استخدام القوة، فأرسل مندوبه "بطرس كاستلناو– *Peter of Castelnau*" ولكنه قتل فى البروفانس سنة ١٢٠٨م.

فأصدر إنوسنت الثالث مرسومه البابوى سنة ١٢٠٩م (٢٠) لتجريد حملة صليبية ضد الكاثاريين، وقنن هذه الحملة، وجعل أن أولئك الذين انضموا لها سينالون نفس الوعود بمحو ذنوبهم إذا ما قاتلوا فى لانجدوك أربعين يوماً (٢١) شأنهم فى ذلك شأن الذاهبين إلى بيت المقدس.

والأهم من ذلك أنهم نالوا وعداً بأن تكون لهم السيادة على الأراضى التى يستولون عليها من الكاثاريين، كما لو كانوا من الكفار، أو أنهم على غير الديانة المسيحية.

هذا الوعد الأخير جعل للحملة الصليبية اتجاهاً لم يكن جزءاً من غرض إنوسنت الثالث.

على كل حال، نجح المندوب البابوى سيمون مونتفرات فى القضاء على الكاثاريين فى معركة موريه "*Muret*" سنة ١٢١٣م.

وانتصر الكاثوليك على الكاثاريين، وهذا الانتصار يعنى، انتصار الشمال على الجنوب ومنح الشطر الأكبر من أراضى كونت تولوز إلى سيمون مونتفرات فى مجمع الاتيران الرابع (٢٢).

واعتبر هذا النصر نصراً للبابا إنوسنت الثالث على الرغم من أنه الانتصار الذى رغب فيه، وأخذت سلطة الكرسى البابوى تسمو فى كل البلاد وفى كل الأمور.

على أية حال، كان ذلك انتصاراً له عيوبه، إذ أن الحرب التى شنها البابا تحت راية الحملة الصليبية حرمت الكثير من الكاثوليك المخلصين من أملاكهم المتوارثة.

وقد أضر هذا بسمعة الحركة الصليبية بشكل خطير، كما أنه أكد على الأعتقاد بأن القوات الضخمة التى وجهتها الدعوة الصليبية يمكن إطلاقها لتحقيق أغراض غير الدفاع عن بيت المقدس، وكان الخطر ماثلاً على الهيبة الأخلاقية لكنيسة روما التى قامت بتوجيه الحملة الصليبية .

وهكذا فإن انحراف الحملة الصليبية الرابعة عن مصر إلى القسطنطينية عام ١٢٠٤م وموافقة البابا إنوسنت الثالث بذلك، وتوجيهه لحملة صليبية أخرى ضد المسيحيين فى الجنوب الفرنسى عام ١٢١٣م، جعل منه أنه ليس خليفة بطرس ولكنه خليفة قسطنطين، إذ كانت بيديه كل الخيوط السياسية الأوربية، وكان تعامله معها حاذقاً بحيث لا يتناسب مع كونه قسيساً(٢٣).

على أن أفضل بيان لإنوسنت الثالث هو نشاط مجمع اللاتيران الرابع ١٢١٥م فى نهاية بابوتية، حضره كل أساقفة الكنيسة الغربية كما حضره ممثلون عن كل تنظيم دينى، فضلاً عن كنائس أرمينيا وبلغاريا، كما أرسل الامبراطور الغربى وامبراطور القسطنطينية وملوك فرنسا واتجلترا وبيت المقدس والمجر وبولندا مندوبين عنهم ليمثلوهم فى الاجتماع (٢٤). لقد كان ذلك أشبه ببرلمان يمثل كل العالم المسيحى اجتمعوا سوياً. وقد رأس البابا إنوسنت الثالث الاجتماع فى حضورهم باعتباره المرشد المعترف به فى كافة شئون المجتمع المسيحى، الروحية منها والدنيوية.

وبعيداً عن القرارات التى ترتبط بالعقيدة الكاثوليكية والقوانين والتشريعات التى تحكم هذه العقيدة أصدر إنوسنت الثالث مرسومه البابوى بتدشين حملة صليبية "خامسة" ضد مصر يتوج بها جهوده التى بذلها فى هذا المضمار، وليمحو بها أيضاً عار حملة القسطنطينية عام ١٢٠٤م والحملة ضد الألبيجنسين عام ١٢١٣، ولكنه ـ أى أنوسنت الثالث مات عام ١٢١٦م قبل أن يرى الحملة الصليبية الخامسة تتخبط فى أوحال دلتا نهر النيل، فترك خلفه بذلك سجلاً من الإنجازات التى كانت بالغة التأثير، سواء إذا نظر إليها المرء من ناحية النضال الروحى أو الصراع السياسى.

المصادر والمراجع

(١) إن نص هذا الخطاب لايزال محفوظاً فى المجموعة المسماه.
Historia de expeditione frederici imperatoris,PP.6-10

(٢) فلهردوان : فتح القسطنطينية، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي عن الفرنسية القديمة، جدة ط / ١، ١٤٥٣هـ ، ص ١٧.

(3) CF.F.R.Rayn; A History of the expedition to Jerusalem, Introduction,

(4) A.Luchaire : Innocent III, la Question d'orient; S.T. stratton : A century of controversy on the furth crusade.

(٥) الواقع أنه كانت هناك مراسلات بين إنوسنت الثالث وبين الكسيوس انجيلوس للاتحاد. أما رغبة الثانى فكانت "لكى نحاول نحن الإثنين الحد من زيادة قوة خصمنا الامبراطور الغربى" كما قال الكسيوس. أما إنوسنت الثالث فكان يسعى لإرجاع كنيسة بيزنطة إلى حضن الكنيسة الأم "كنيسة روما" وراح يهدد الامبراطور أنه إن لم يستجب لذلك فإنه سيمد يد العون إلى أسرة اسحق ليرجع إليه العرش. انظر
Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol.II,p.451

(6) J.Strayer the political crusades of the thirteenth century, P.347.

(7) Ibid :
وراجع أيضاً فى الملاحق نص الرسالة التى بعث بها البابا إلى رؤساء الأساقفة وكبار رجال الدين فى إقليم ماجدبورج 'Magdeburg'. وراجع .
Innocnet III, P.L. CCXIV, Clos. 829 - 31.

(٨) فيلهردوان . المرجع السابق ص ١٩



(9) Ibid.

وراجع أيضاً :

F.A.Cazel : the Tax of 1186 in aid of the Holy land (in) speculum, 1955, P.38Fl.

(10) CF. Pissard : la guerre sainte, PP.38 - 39

ويلاحظ أن هذه الخطة قد احتذيت بعد قليل وصارت مثلاً يتبع، وانحرف بعضهم بها عن الناحية الدينية إلى أهداف شخصية. انظر

E.Jordan : les Origines de la Domination Amgevine en Italie, pp.537 - 538.

(11) Grousset, Histoire des Croisades et le Rayaume de Jerusalem, t.III, P. 228.

(12) Innocent, III, op.cit.

(١٣) على الرغم من هذا الوعد الذى قطعه البابا بعدم فرض مثل هذه الضريبة مستقبلاً إلا أنه وجد نفسه مضطراً لفرض مثلها مرة أخرى سنة ١٢١٥م انظر :

H.E.Mayer; the Crusades, Eng. translation by J. Callingham, P.185.

(١٤) روبرت كلارى : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة حسن حبشى، فقرة رقم ١

(15) Vasiliev : op,cit, II,P.453.

وراجع أيضاً ، فلهردوان، المرجع السابق، ص ٢٤

(16) Vasilive : OP.cit, II, 454, and also, Runiciman, Hist. of the Crusades, vol.III, P.113, et note I, d'apres Gesta Innocent,III.

وراجع أيضاً : فيلهردوان، المرجع السابق، ص ٢٥

(١٧) موريس كين : حضارة أوربا العصور الوسطى، ترجمة د.قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص١٤٦-١٥٨.

(١٨) موريـــس كـــين. المرجـــع الســـابق، ص ١٥١ ، وراجـــع أيضـــاً. سعيد عبدالفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، جـ١، ط/٦،١٩٧٥، ص ٧٠٦

(١٩) موريس كين،المرجع السابق ص ١٥٢ وراجع سعيد عبدالفتاح عاشـور، نفس المرجع والصفحة.

(٢٠) Innocent,III, P.L.CCXVI,Cols. 116 - 117.

وراجع الملحق فى هذه الدراسة، الرسالة رقم ٦ "المؤلف"

(٢١) موريس كين، المرجع السابق، ص ١٥١ - ١٥٣ ، وراجـع أيضـاً، هـذه الدراسة فى الملحق، الرسالة السادسة، وراجع :

Innocent III.P.L.Vol. CCXVI, Cols, 703 - 704

(22) Innocent III,P.L. CCXVI, Cols. 904 - 905.

وراجع أيضاً ، موريس كين المرجع السابق ص ١٥٣.

(٢٣) موريس كين ، المرجع السابق ، ص ١٥٥.

(24) Regesta Innocent,III, (weimar, 1929) PP.88 - 97. and see also, Innocent, III, P.L.CCXVI, Cols 904.

وراجـع أيضـاً، سيتفن رنسيمان، تـاريخ الحـروب الصليبيـة، ترجمـة د.السيد الباز العرينى، بيروت، ب.ت. جـ٣ ، ص ٢٣٧.

وراجع أيضاً النص الكامل لمجمع اللاتيران الرابـع فـى هـذه الدراسـة ضمن الملاحق حيث تتضمن ما جاء به إنوسنت الثالث من تشـريعات وقوانيـن تتعلـق بـالعقيدة الكاثوليكيـة والديانـة المسـيحية، وكذلـك مـا يتصل بالحملة الصليبية الخامسـة أو الحملـة الألبيجينسـية أو الحملـة ضد المسلمين فى الأندلس. وهذا الملحق هو إضافـة جديـدة للدراسـة لم تتعرض له دراسة أو بحث من قبل.

الفصل الثانى

الصراع البابوى الإمبراطورى

- دوافع الصراع بين الدين والدولة .
- الامبراطور فردريك الثانى: نشأته وثقافته.
- إنوسنت الثالث والوصاية على فردريك الثانى.
- تدخل إنوسنت الثالث فى الصراع بين البيتين (الولفى ـ الجلفى) فى ألمانيا.
- فردريك الثانى وقيادة حملة صليبية إلى الشرق .
- فردريك الثانى وكشف زيف السياسة البابوية الصليبية.
- نتائج الصراع بين الدين والدولة.

ليس أطرف فى دراسة التاريخ من معالجة موضوع يجمع بين الشرق والغرب، وفى الوقت نفسه ليس أخطر في التاريخ من معالجة مثل هذا الموضوع، لأنه يتطلب إلماماً واسعاً بالمراجع الشرقية والغربية على السواء، وقدراً كبيراً من الحرص عند مقارنة ما يرد فى المراجع الشرقية بما يرد فى المراجع الغربية، وفوق هذا وذاك فإن معالجة هذا النوع من الموضوعات التاريخية يتطلب تقديراً لظروف الشرق وظروف الغرب وعقلية الشرق وعقلية الغرب وطبيعة الشرق وحضارته وطبيعة الغرب وحضارته.

وعلاقة الإمبراطور فردريك الثانى بالبابوية وملوك وحكام المسلمين مثل بارز لهذا النوع من الموضوعات، فقد اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية فى النصف الأول من ق ١٣م(١)، أى فى عصر ملىء بالأحداث بالنسبة للشرق العربى والغرب الأوربى .

ويكفى أن نذكر ذلك العصر بالذات، حيث شهد غرب أوربا دوراً من أعنف أدوار النزاع بين البابوية والإمبراطورية، أو بين السلطتين الدينية والعلمانية، أو بين الدين والدولة من أجل سيادة العالم (٢). وشهد فى العالم العربى التطورات السريعة التى ألمت بمصر والشام عقب وفاة صلاح الدين، كما شهد الإتصال القوى بين الشرق والغرب، وهو الإتصال الذى اتخذ طابعاً حربياً عنيفاً فى صورة الحروب الصليبية، مثلما اتخذ طابعاً فكرياً سليماً فى صورة ازدياد النشاط التجارى بين الشرق والغرب (٣)، فضلاً عن إقبال الغرب الأوربى على علوم العرب وحضارتهم واقتصاص كل ما أمكن اقتصاصه من رحيق الفكر العربى والحضارة العربية عن طريق الترجمة والنقل والمحاكاة (٤).

وفى جميع تلك الأوجه المتباينة من النشاط البشرى الذى ساد الغرب والشرق جميعاً فى القرن ١٣م، أسهم الإمبراطور فردريك الثانى بسهم وافر ملحوظ، زاد من وقعه وأثره شخصية ذلك الإمبراطور ونشاطه الفكرى وغير الفكرى، مما جعل جمهرة المؤرخين والكتاب يجمعون على تلقيبه بلقب واحد مشترك هو *Stuper Mundi* "أعجوبة الدنيا" (٥). والحق أن فردريك الثانى كان أعجوبة فعلاً فى تصرفاته وسلوكه، وأعجوبة فى آرائه وأفكاره، وربما كانت مظاهر العجب فى ذلك الإمبراطور لاتبدو أشد وضوحاً وجلاء منها فى علاقته بالعرب والمسلمين (٦)، ولا أقل من أن نلقى نظرة سريعة على الظروف التى أحاطت بذلك الإمبراطور فى الغرب الأوربى لنستطيع فى ضوئها أن نفسر تصرفاته إزاء العرب والحضارة العربية.

ولد فردريك الثانى من أب ألمانى هو هنرى السادس وأم إيطالية هى الأميرة كونستانس وريثة صقلية، ونشأ وتربى وتعلم فى صقلية، وهى الجزيرة التى كانت فى العصور الوسطى - بحكم موقعها وتاريخها - ملتقى الحضارات العربية الإسلامية والبيزنطية اليونانية والرومانية اللاتينية، فنشأ فيلسوفاً محباً للجدل والرياضيات يجيد عشر لغات منها اللغة العربية، يتذوق الشعر العربى وغير العربى، هذا كله فضلاً عن مهارته فى السياسة والقانون والعلوم الطبيعية (٧).

وقد أفاض جمهرة المؤرخين - العرب والأوربين على السواء - فى وصف حب فردريك للمسلمين وإعجابه بحضاراتهم وعلومهم وحياتهم وتقريبه لهم، واستخدامهم فى حاشيته حتى أن المؤذنين المسلمين عند موعد كل فرض كانوا يؤذنون فى معسكره (٨). وذكر المقريزى أن فردريك كان " عالماً متبحراً فى علم الهندسة والحساب والرياضيات، وأنه بعث من صقلية للسلطان الكامل الأيوبى(٩) بعدة مسائل مشكلة فى الهندسة والحكمة والرياضيات، فعرضها السلطان الشيخ على علم الدين قيصر المنفى - المعروف باسم تعاسيف - وأرسل جوابها إلى الامبراطور (١٠).

ولكن إذا كان فردريك الثاني قد نشأ تلك النشأة الغريبة التي ليس لها مثيل فيما سبقه أو تبعه من أباطرة الدولة الرومانية، فإن هناك وجهاً للشبه بينه وبين أسلافه من أباطرة تلك الامبراطورية في الغرب وأعني بذلك التشابه اشتراك فردريك الثاني في معركة الصراع بين البابوية والامبراطورية، بل إنه الامبراطور الذي اختتم قصة النزاع مع البابوية (١١) وأسهم في آخر حلقاتها في العصور الوسطى. حقيقة أن البابوية ساعدت فردريك *"Fredrick II"* في الحصول على حقه في عرش الامبراطورية وأيدته حتى تم له القضاء على خصمه ومنافسه أوتو *"Otto-IV"* سنة ١٢١٤م وتوجته امبراطوراً في روما سنة ١٢٢٠م (١٢). ولكن سرعان ما نسي الامبراطور الجديد فردريك الثاني كل ذلك ولم يعد يذكر إلا شيئاً واحداً، هو أنه خليفة قيصر واغسطس وشارلمان، وأنه بناءاً على ذلك يعتبر الزعيم الأوحد للعالم بوصفه ممثلاً للسلطة الامبراطورية العليا. وأن الكنيسة ورجالها وعلى رأسهم البابا يجب أن يعترفوا له بالسمو والزعامة. وهكذا لم يكتف الامبراطور فردريك الثاني بتوطيد مركزه في صقلية وجنوب إيطاليا بل أخذ يعمل على تأكيد سلطته على المدن اللمباردية في شمال إيطاليا، مما هدد بوقوع الأملاك البابوية بين شقي الرحى، وجعل البابا ينظر إلى سياسة فردريك الثاني بعين ملؤها الشك والخوف مما سيتمخض عنه المستقبل (١٣).

وكان ذلك سنة ١٢١٥م عند تتويجه بمدينة «أكسي» عندما وعد فردريك - لأول مرة - بالقيام على رأس حملة صليبية متعهداً للبابا إنوسنت الثالث *"Innocent III"* بذلك، وأن تكون وجهة الحملة هي الشرق ثمناً للمساعدة التي لقيها من البابا إنوسنت الثالث في الوصول إلى حكم الامبراطورية.

وإذا كنا لسنا بصدد متابعة علاقة فردريك الثانى بالبابوية حتى النهاية لأن ذلك سيكون خارج نطاق الدراسة، فإن ما يهمنا هنا هو علاقة إنوسنت الثالث بابا روما بالامبراطور فردريك الثانى إشارة إلى الانشغال الكبير للبابوية بالصراع الداخلى فى أوربا مما مهد الطريق لفشل الحملات الصليبية على مصر والشام ومنطقة الشرق العربى عند مطلع ق١٣م. وأننا أخذنا فردريك الثانى كنموذج لتوزيع القوى الأوربية جهودها ما بين الصراع الداخلى فيما بينهم والصراع مع المسلمين.

كما يجب الإشارة هنا إلى أن الصراع بين البابوية والإمبراطورية لم يكن وليد عصر فردريك الثانى (١٢١٥ / ١٢٥٠م) بل كانت بداية ذلك الصراع قبل قيام الحملات الصليبية ذاتها على الشرق، وعلى وجه التحديد كانت بداية الصراع بين الطرفين هو ١٠٧٥م ونهايته على يد فردريك الثانى ١٢٥٠م (١٤).

ولكن إذا كان هذا الصراع قد بدأ مبكراً على هذا النحو، فلماذا نجحت الحملات الصليبية فى تأسيس أربع مستعمرات لها فى الشرق (١٠٩٧/١١٠٩م) هى على التوالى (إمارة الرها، أنطاكية، طرابلس، بيت المقدس) ؟ وأخفقت فيما بعد قرب نهاية ق١٢م وعلى وجه التحديد بعد هزيمة الصليبيين فى حطين على يد صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م.

الإجابة هنا واضحة تماماً، وهى أن انتصار الصليبيين على المسلمين أواخر ق١١م وأوائل ق١٢م يرجع بالدرجة الأولى إلى تفكك العالم الإسلامى وضعف الخلافة العباسية فى بغداد والفاطمية فى القاهرة، ولا يرجع أبداً إلى قوة اللاتين، بدليل أن المسلمين تمكنوا من استعادة هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى، كلما ظهر زعيم أو قائد مسلم من أمثال عماد الدين زنكى ١١٢٧م، ونور الدين محمود ١١٤٣م وقد تمكنا من استرداد إمارة الرها، ثم صلاح الدين الذى استرد بيت المقدس ١١٨٧م، ثم آخر معاقل الصليبيين فى الشام على يد بعض أفراد المماليك سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس عام ١٢٩١م.

ولو أضفنا إلى ذلك أن الإمبراطور فردريك الثانى عند بداية القرن ١٣م تمكن من كشف آلاعيب البابوية وصمم على كشف زيف إدعاءاتها تجاه المسلمين عندما استرد بيت المقدس من الملك الكامل الأيوبى عام ١٢٢٩م، وذلك بالاتفاق مع الملك الكامل متفقاً معه أنه لا يرغب فى البقاء فى بلاد الشام بقدر ما هو حريص على كشف الزيف البابوى وإحراج البابوية أمام المجتمع الأوربى الغربى (١٥).

وقد تحققت نبوءة فردريك الثانى - أعجوبة الدنيا - كما لقبه دانتى، عندما رفض البابا هنوريوس الثالث "*Honorous III*" استلام بيت المقدس باعتبار المكان المقدس رجع على أيدى إمبراطور محروم من رحمة الكنيسة (١٦).

لعل مصلحة الإمبراطور فردريك الثانى فى أوربا من حيث استرداد أملاكه وضم أطراف الامبراطورية ما بين ألمانيا وصقلية أهم بكثير من مصلحته فى الشرق. وهذا ما جعله دائماً يماطل فى الخروج على رأس أكثر من حملة صليبية إلى الشرق.

ولعل الخلاف والنزاع الذى كان بين فردريك الثانى "*Frédrick II*" والبابا إنوسنت الثالث "*Innocent III*" يرجع إلى أن الأخير كان وصياً على الأول، ورغب فى أن تظل هذه الوصاية رغم كونه أصبح امبراطوراً (١٧)،وادعى إنوسنت الثالث أن فردريك الثانى لم يكن قد عُمّد حين انتخب ملكاً (١٨)، بل ادعى البابا أن حرصه على استمرار الوصاية على فردريك الثانى يرجع إلى الحفاظ على إرثه فى صقلية.

كذلك يرجع النزاع بين إنوسنت الثالث وفردريك الثانى إلى تصريح الإمبراطور بفساد الكنيسة، عندما أعلن أن الحصانات والغفران يمكن شراؤها بالذهب (١٩)، وأن القداس يعرض للبيع، وهناك ثمناً لكل صلاة ولكل زواج ولكل موت ولكل شمعة (٢٠)، ثم أعلن الإمبراطور أيضاً أن كل هذا المال لا يؤول إلى الله، ولا إلى الفقراء، وإنما إلى البابا ورجال الدين، "وهكذا تزخر موائد الأديرة والرهبان والراهبات باللحم والنبيذ والجبن، على حين نرى رجال السخرة الذين يعملون فى الأراضى الكنيسية يتضورون جوعاً.

لقد أصبحت الكنيسة غنية جداً، متعلقة بالدنيا، تمتلك أراضى شاسعة وقصوراً فخمة وتحفاً نادرة، .. لم تعد الكنيسة تتحدث بصوت الإله، ولكنها تتحدث بصوت، البابا .. إن البابا إمبراطور كهنوتى طامع فى حكم العالم.(٢١)

هكذا كان يقول فردريك الثانى تجاه البابا إنوسنت الثالث. لعلنا أردنا بتقديم نبذه عن الحياة الاجتماعية للمجتمع الغربى فى ظل الفساد الكنسى من خلال علاقة الإمبراطور فردريك الثانى بالبابا إنوسنت الثالث حتى تتضح الرؤيا أن كل شئ يقوم به البابا إنوسنت الثالث من إدعاءات نحو قيام حملة صليبية ضد المسلمين فى الشرق إنما هو أمر محكوم عليه بالإخفاق والفشل الذريع، رغم أن الظروف فى الشرق كانت مواتية إلى حدٍ ما آنذاك فى إمكانية نجاح الحملات الصليبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبى بسبب النزاعات الداخلية فى البيت الأيوبى حول تقسيم ميراث صلاح الدين الأيوبى فيما بينهم (٢٢).

ولعل هذا ما يفسر سبب كثرة الهدن بين اللاتين والمسلمين، لأن كلاً منهما لا يقوى على تحقيق نصر حاسم على الآخر، وهذا ما دفع الباحث هنا إلى جعل الفصل الثالث يتمثل فى العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الجانب الصليبى والجانب الإسلامى.

المصادر والمراجع

(1) All shorm, Lionel : Stupor Mumdi (secker, London 1912) pp.45 -48

وراجع جوزيف جاى ديس "الزنديق الأعظم" ترجمة : أحمد نجيب هاشم، ص٧٣، وقد ذكره المؤرخ، بأنه أشهر أباطرة الغرب فى العصور الوسطى " أعجوبة الزمان" كما لقبوه، عرف عشر لغات، ولكنه آثر أن يكتب بعض مذكراته بالعربية، فقد تعلمها أيام كان طفلاً جائعاً مهملاً يلعب مع الصبية العرب فى أزقة "بالرمو".

وزخر بلاطه بالفلاسفة والعلماء والشعراء والموسيقيين وأكثرهم عرب.. إن حياة القرون الوسطى بألوانها الزاهية ودقائقها اليومية العجيبة تعرض من خلال حياة ملك عاكس الزمان وعاداه، وخاصم الساسة والبابا فى كل شئ .

ولما مات بكاه قوم بدموع حاره وتنفس الصعداء للخلاص منه آخرون، وظل العامة ينتظرون عودته مخلصاً ليقيم العدل.

قال دانتى عنه فى الكوميديا الإلهية " أنه ليس أبو اللغة الإيطالية فحسب، ولكنه مثل أعلى للحاكم" ومع ذلك أدخله الجحيم.

(2) Bermini, Ferdinando, Icmuni Italianiet Frederico (societa Editrice Intermazionale, torimo, 1950) pp.73-78

وراجع، جوزيف جاى ديس، المرجع السابق ،٧١-٧٣.

(3) Archer,the Crusades, p.310.

وراجع سعيد عاشور، الحركة الصليبية جـ٢ ،ص٩٩١

(4) Runciman, the Crusades,(1) , pp.147-159 - and see also, setton, the Crusades, II, pp.407-409.

(5) Brehier,L'Eglise et L'Orient, pp.175-180.

وراجع جوزيف جاى ديس، المرجع السابق، ص٦٥-٦٧.

(6) King, The Knights Hospitallers,pp 151-158.

وراجع، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق،٩٨٢.

(٧) جوزيف جاى ديس، المرجع السابق، ص١١-١٩.

وراجع سعيد عبد الفتاح عاشور،المرجع السابق، ص٩٨٣.

(8) Runciman, The Crusades, III, 141-143.

(9) Wiet, L' Egypte Arab,pp.350-351,

وراجع أيضاً: سعيد عاشور، الحركة الصليبية ،جـ٢،ص٩٩٥-٩٩٧.

(١٠) جوزيف جاى ديس، المرجع السابق، ص٧٣.

(١١) سعيد عبد الفتاح عاشور، التاريخ السياسى أوربا العصور الوسطى، جـ١،ص٣٢٨-٤١٤.

(١٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، نفس الصفحات. وراجع أيضاً جوزيف جاى ديس، المرجع السابق، ص٥٤-٧٤.

13) Runciman, The Crusades,III , pp.140-147 and see Kantorowicz, Fredrick The second, p. 139.

وراجع أيضاً : جوزيف جاى ديس، فهو أفضل الكتب فى عرض قصة الصراع بين البابوية والإمبراطورية، وخاصة ما يتعلق بتاريخ وحياة الإمبراطور فردريك الثانى .

(١٤) عن حوادث هذا النزاع وأدواره انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى.جـ١، ص٣٢٨-٤١٤.

وإن كنا نرى موضوع التقسيم كمراحل للنزاع أمر غير مقبول تاريخياً، لأن الصراع لم يأخذ أشكالاً مختلفة، بل ربما موضوع تقسيم النزاع كمراحل يرجع إلى البعد الزمنى بين كل فترة وأخرى، ولكنه فى النهاية النزاع هو النزاع، إذ لم يحدث تطور أو تكتيك مخالف بين كل فترة وأخرى حتى نقول" أدوار النزاع ـــ أو مراحل النزاع" .المؤلف.

(15) Baraclough, The Origns of modern germay, pp. 221-223, and see also, Tout, The empire and The papacy,pp,360-365.

(16) Kantorowicz, Fredrick the seond, p.129-139.
وراجع أيضاً، سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص٣٣٢.

(١٧) جوزيف جاى ديس، الزنديق الأعظم ترجمة وتعليق، أحمد نجيب هاشم، ص٧٢-٧٣.

(١٨) جوزيف جاى ديس، المرجع السابق ص٧٣. وراجع أيضاً.
Bryce, the Holy Roman Empire,pp.203-204.
ويلاحظ أن أفضل كتاب يتعلق بالصراع بين الإمبراطور فردريك الثانى والبابوية على وجه العموم هو الكتاب الذى ترجمه : أحمد نجيب هاشم تحت عنوان " الزنديق الأعظم" للمؤرخ الأمريكى جوزيف جاى ديس، وعلى الرغم من كونه كتاباً أدبياً غير أن المؤرخ لم يغفل الأحداث التاريخية وجعله على يد الإمبراطور فردريك نفسه فكان بذلك كتاباً تاريخياً أكثر منه أدبياً، وهو يعتبر كتاباً موثقاً أيضاً مما يجعله ذا قيمة كبيرة فى مجال التدوين التاريخى . المؤلف.

(١٩) جوزيف جاى ديس: المرجع السابق، ص٧٣-٧٤.

(٢٠) المرجع نفسه ونفس الصفحات.

(21) Paris, Matthew : historia maior, ed . Luard, London, pp.121-123.

22) Runciman, op.cit,pp. 178-181. and see Kantorowicz, op. cit, pp. 391-395.
وراجع سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢ ص،٩٩٥-٩٩٧، وراجع كذلك جوزيف جاى ديس ، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٦.



الفصل الثالث

إنوسنت الثالث والمسلمون

- إنوسنت الثالث بين التأييد والاعتراض
- دوافع إنوست الثالث في إتباع سياسة الدبلوماسية تجاه المسلمين
- نتائج السياسة البابوية تجاه المسلمين

كان لإنوسنت الثالث الذى اعتبر نفسه واعتبره الآخرون الأب الطاهر سياسة متباينة تجاه المسلمين ما بين النبذ وعدم تعصب، بل فى النهاية التودد إلى المسلمين، هذا فى نفس الوقت الذى شهد توازناً غير عادى بين الكهنوتية والحكومة.

إن الهدف من هذه الدراسة هو إظهار تلك السياسة المتباينة التى اتبعها إنوسنت الثالث تجاه المسلمين والآثار التى خلفتها هذه السياسة التى لاتبدو متناغمة أو مشتقة منطقياً من المبادئ التأويلية لعلم اللاهوت، وهذه مسألة عقيدية أكثر من كونها مسألة دينية، أو مسألة حسابات سياسية مقدرة والتى تنشأ بدروها نتيجة المطالب العقيدية للسلوك الدينى.

كذلك تقوم الدراسة بإلقاء الضوء على حقيقة مفادها أن السياسات البابوية ــ وبالبرهان الدامغ ـ متوافقة ومرنة مع الأوضاع السياسية المتبعة داخل نطاق المحيط الدينى.

لقد تم الوقوف على تلك السياسة بعد القيام بعمل دراسة تفسيرية للوثائق والكتابات البابوية المتميزة المختلفة المستخدمة فى مخاطبة المستمعين من عامة وحكام المسيحيين ، وكذلك من الفئات الاجتماعية والحكام المسلمين داخل الأراضى المسيحية. كانت مواقف إنوسنت الثالث تجاه المسلمين إما عدائية أو سلمية. فمن ناحية، كان البابا إنوسنت الثالث يسعى إلى إعادة تسليح المسيحيين، ومن جهة أخرى كان يسمح بالتعايش السلمى بين المسيحيين والمسلمين، وسعى إنوسنت الثالث لتحقيق الحوار بينهم على أساس مبدأ المصالح المشتركة، وكان الهدف الوحيد وراء هذه السياسة هو العمل على تحقيق مصالح المسيحيين رغم أنف المسلمين "الأعداء" (١).

لم تقدم إلا دراسات قليلة باستثناء "الحرب الصليبية" حول علاقة إنوسنت الثالث بالمسلمين. ولذلك فمن الضرورى فحص ظاهرة "الأسر والتحرر" فى ضوء العلاقة المعقدة بين العالم الإسلامى والبابا إنوسنت الثالث وإنه ليس من السهل تعريف الاتجاهين : العدائى والسلمى إذ وقع كل منهما فى زمن مختلف. وفى الواقع يبدو أن كل اتجاه منهما يقوم بتدعيم الآخر، على الرغم من أنها سياسات تبدو غير مفهومة بالنسبة لنا فى العصر الحديث.

ويمدنا القسم الثانى من هذا البحث بسجل تاريخى لأعمال البابا! إنوسنت الثالث القائمة على علاقته بالمسلمين. وسوف يساعدنا كل من الموقفين العدائى والسلمى على فهم الاتجاه الذى وضعه البابا إنوسنت الثالث لسياسته الشاملة.

(١) إنوسنت الثالث ومسألة استرداد بيت المقدس

عندما تم اختيار إنوسنت الثالث ليكون على رأس الكنيسة الكاثوليكية، كان يبلغ من العمر سبعة وثلاثون عاماً. وكان قد خلف البابا سلستين الثالث الذى كان يناهز التسعين من عمره. وكان إنوسنت الثالث على درجة كبيرة من الثقافة إذ أتم تعليمه ودراسته الدينية واللاهوتية داخل المنشآت الثقافية الغنية فى كل من بولونيا وباريس. وقد ساعده ذلك على اختياره ليكون زعيم الكنيسة الغربية.

ولقد صادف اعتلاء إنوسنت الثالث عرش البابوية (١١٩٨ - ١٢١٦م) التقاء القرنين (الثانى عشر والثالث عشر م) اللذين وصلت خلالهما الحروب الصليبية والهجمات المضادة من قبل المسلمين إلى ذروتها. والذى كان الجهاد "فى سبيل الله" سمة بارزة له. الأمر الذى دفع البابا إنوسنت الثالث لأن ينتهج سياسة ودبلوماسية عالية تجاه الشئون الحكومية، وجعل جل اهتمامه هو استرداد الأرض المقدسة. بل ظل الهدف الأكبر للبابا إنوسنت الثالث حتى نهاية حياته، والذى خصص من أجل تحقيقه كل مهاراته السياسية والدبلوماسية. إن نظرة حول علاقات "إنوسنت الثالث" بالمسلمين يتضح أن استرداد الأرض المقدسة كان منبع ومصدر اهتمامه بشكل واضح، لأنه كان الاهتمام الأكثر ألماً، والألم هنا يأتى من كون البابا الرجل القوى الذى ينوب عن المسيح فى الأرض عليه السلام. وكان موقف البابا ضعيفاً تجاه المسلمين الذين كانوا خارج نطاق السيطرة المسيحية* (٢).

ولأن فترة تولي إنوسنت الثالث عرش البابوية كانت تمثل مرحلة من "السلام أثناء إعادة التسليح" إلا أنه يمكننا الإشارة إليها على أنها الفترة التي ساعدت على حل مشكلة الأسرى .. ففي الواقع كانت فترة بابوية إنوسنت الثالث فترة خالية تماماً من أية حروب رئيسية ضد المسلمين باستثناء الغزوة الانتصارية الشهيرة "Las Naves de Tolose" "معركة العقاب" عام ١٢١٢ في الأندلس (٣) وتمدنا، أو تعود بنا إلى الخطأ الذي وقعت فيه الحرب الصليبية الرابعة (١٢٠٢- ١٢٠٤م) إذ تسببت هذه الحرب في قتل وذبح العديد من المسيحيين والمسيحيات، هذا على الرغم من أن هذه الحملة المعروفة بالرابعة كان مخطط لها السير إلى الأراضي المقدسة، الأرض التي وطأتها قدم المسيح .. وبالتالي فعندما نتذكر فترة بابوية إنوسنت الثالث نذكرها على أنها فترة هدنة حربيةً بين الإسلام والمسيحية، وحتى إن كان هذا السلام إجبارياً، إذ كان لايزال هناك هدنة حربية على المستوى الرسمي.

إن هذا التقييم العام لسياسة البابا إنوسنت الثالث لهو تقييم مبني على تجربة موقعة العقاب "La Navas de Tlos" والتي حرص البابا حرصاً كبيراً على إنجاحها، ونظراً للميول والمعتقدات اللاهوتية العميقة، وقد بدأت محاولات البابا الأولى في هذا الاتجاه مع بداية توليه عرش البابوية، والتي تجددت عند نهاية حكمه. ففي مجلس اللاتيران الرابع قام إنوسنت الثالث بنشر نوع من أنواع الميثاق الروحي "للعالم أجمع" وقد عبر في هذه الوثيقة عن أسفه وأمله بالأراضي المقدسة.

كما قام بكتابة وتدوين أفعاله وقراراته التي كان لها شهرة عالمية في جميع البلدان المسيحية .. وقد مات إنوسنت الثالث وهو يحلم بما تمنى تحقيقه للمسيحيين والمسيحية معاً.(٤) ونعود فنقول أن فترة حكم إنوسنت الثالث هي فترة هدنة وإعادة تسليح "فترة هدوء".

لقد حققت معاهدة ١١٩٢م والتي أتمها صلاح الدين، حققت سكينة وهدوء دام حوالي ثلاث سنوات وثلاث شهور .

وكما ذكر أبو شامة (٢) أن العادل جدد المعاهدة مع الفرنجة مدة خمس سنوات أخرى وثمانية شهور بدءاً من ١٤ شعبان ٥٩٤هـ ، ٢١ يونيو ١١٩٨، وهى هدنة أتاحت الفرصة لتبادل الأسرى وحصر عدد الموتى لدى الجانبين، كما أتاحت الفرصة لإعادة التسليح وإعداد القوة لحرب مقدسة مقبلة. على أية حال : كانت فترات التوقف والهدن بمثابة الفترات التى خمدت فيها النيران تحت الرماد. ورغم ذلك شهدت تلك الفترات بعض أعمال القرصنة والسلب والنهب والاضطرابات،وعمليات الغزو (الغارات) سواء من جانب المسلمين أو المسيحيين، خاصة فى الأعوام ٥٩٤هـ/١١٩٨م، ٦٠٧هـ/١٢١٠م(٥).

وبالإضافة إلى هذه الأحداث الداخلية، ظل الاهتمام الوحيد للبابا إنوسنت الثالث هو المحافظة على اسم السيد المسيح المبجل والذى لحق به الخزى والعار على يد المسلمين الأمر الذى أدى إلى إشعال الرغبة عند المسيحيين لعمل أى شئ لرد الاعتبار، وقد كان لهذه الحقيقة ضغوط قوية على البابا الشاب ، فعمل على تكريس نفسه وجهوده لإعادة النصر للمسيحية. وبدأت مسيرته بالهدف العاجل، ألا وهو استرداد الأرض المقدسة وبالتالى ظهرت الحاجة إلى إعادة التسليح ، وتحرير الأسرى، إذ كان هناك عشرات الآلاف من الأسرى المسيحيين فى أيدى المسلمين وبناءًا على ما ذكره عماد الدين عام ١١٨٧م فإنه كان بقبضة المسلمين حوالى مائة ألف مسيحى فى الأسر.

ويمكننا ملاحظة التباين الواضح فى خطط إنوسنت الثالث المعقدة نحو المسلمين، فلقد عبر عن علاقته بالمسلمين على ثلاث مستويات الأول : هو الخيارات المادية اليومية الناجمة عن عدائه للمسلمين، والثانى : التقليل والحد من الانتقادات فى العلاقات مع المسلمين، الثالث : التعايش السلمى، بل تحسين العلاقة مع المسلمين؛ وبالتالى فإن جوهر هذه السياسة العدائية فى أساسها للمسلمين ، أتاحت الفرصة للبابا إنوسنت الثالث إلى إعادة التسليح على المستوى الدولى، وكانت السياسة

البابوية معبرة عن الأغراض القائمة حول الأسرى والاسترداد من خلال الرجوع إلى علم اللاهوت، وتصميم إنوسنت الثالث الواضح على الاسترداد لهو دليل على صحة هذه المستويات الثلاثة في سياسته نحو المسلمين. فلقد تميزت فترة بابوية إنوسنت الثالث بصورة مزدوجة ومتناقضة من أجل الاسترداد فهو استرداد قائم على افتداء واسترداد الأراضي المقدسة بقوة السلاح والذى أدى بدوره إلى زيادة الأسرى المسيحيين.

وبسبب الرجوع إلى القانون وفلسفة اللاهوت، استطاع إنوسنت الثالث أن يتحكم فى العلاقات مع المسلمين. لذا فقد قام بتنظيم سياسته على النحو التالى : الظروف المحيطة ـ نوعية المخاطبين ـ المتطلبات المعقدة الموجودة ـ بالإضافة إلى ما دونه البابا عن الحرب الصليبية، فقد تركزت رسائله حول مشكلة المسلمين فى الأعوام ١١٩٨ ـ ١١٩٩ـ ١٢١٢ ـ ١٢١٣، ويمكن تقسيم هذا الهيكل الأدبى على أساس نوعين من الوعاظ والذى ينقسم بدوره إلى ثلاث مجموعات.

١- مجموعة المسيحيين المخلصين والكهنة.
٢- مجموعة الأمراء المسيحيين
٣- مجموعة الحكام المسلمين

ولقد تعامل إنوسنت الثالث مع المسلمين بصورة مباشرة أو غير مباشرة ولأسباب متعددة، ورغم ذلك فإنه يمكن وصف وتوضيح هدف البابا من ذلك الاتصال بالمسلمين بما هو آت :

أولاً: حرص البابا على تبنى عمليه السلام بين الحكام المسيحيين وحثهم على نقض تحالفهم مع المسلمين.

ثانياً: عمل على إلتئام الجروح الناجمة عن قتال المسلمين لهم.

ثالثاً: حرص على عدم وقوع الاضطرابات المتكررة.

رابعاً: وضع برنامجاً واسترداد الأرض والأماكن المقدسة ومساعدة الأخوان المسيحيين المحتاجين للمساعدة وهم بين أيادى أجنبية.

خامساً: عمل على إنهاء العلاقات التجارية بين المسيحيين والمسلمين لمنع المسلمين من الحصول على أية فائدة اقتصادية.

سادساً: حرص على التعاون مع المسلمين المرتدين عن الدين الإسلامي.

وفي النهاية : كان عليه إعداد خطة مثالية من أجل فك أسر المسجونين (الأسرى المسيحين فى الحرب). وقد أجبرته الغارات البربرية التى قام بها ماركوارد "حاكم صقلية" على انتهاج سياسة التسامح مع المسلمين (٦).

(٢) "إنوسنت الثالث" وظاهرة انقسام المجتمع المسيحي والممثلة فى المسيحين ضد أقرانهم المسيحيين المسيحيين المتحالفين مع أعدائهم المسلمين

كان البابا إنوسنت الثالث زعيماً للمسيحيين المؤمنين ورجال الدين، وهم الذين كان يخاطبهم البابا معظم الأوقات، لأنهم كانوا الفئة التى كانت أكثر إنصاتاً لأقوال نائب المسيح "البابا" وقد تسببت الحرب القائمة بين الأمراء المسيحيين، والتعاون والتحالفات الغير منطقية بينهم وبين المسلمين فى إصدار مجموعة من التعاليم الأدبية للبابا، التى كانت تهدف فى النهاية إلى استرداد الأرض المقدسة من المسلمين.

وقد برهنت التحالفات الغير شرعية بين المسيحيين والمسلمين على وجود انشقاقات وتداعيات داخلية فى البلدان المسيحية .. ففى بعض الأحيان كانت العلاقات بين الحكام المسيحيين والمسلمين(٧) أكثر قرباً من تلك التى كانت مع إخوانهم المسيحيين الذين يدينون بدين واحد. وقد كان على إنوسنت الثالث أن يتصرف كما لو كانت تلك التحالفات لم تحدث أساساً. فقد أخذ على عاتقه مهمة النصح والإقناع والتحذير والتهديد والوعيد، والعمل على إعادة التحالف بين الحكام العلمانيين داخل البلدان المسيحية. غير أن جهود البابا لم تثمر إلا فى حدود من النتائج الإيجابية.

فقد كان الحكام المسيحيون مقتنعين بالوحدة، ولكن تدخلت المصالح الشخصية فى معترك مسيرة تلك الوحدة.

ومن خلال الكتابات الأدبية للبابا إنوسنت الثالث تظهر ثلاثة مواقف متشابه وهى : أولاً : الانقسامات فى صفوف المجتمع المسيحى نفسه، ثانياً : المسيحيون ضد مسيحيون آخرون. ثالثاً : المسيحيون الأصدقاء يعملون لصالح المسلمين.

فيتضح من خلال الكتابات الأدبية للبابا أن الحكام المسيحيين كانوا يتجنبون التحالف مع أقرانهم من المتدينين، بل كانوا يحافظون على تحالفاتهم الغير شريفة وغير شرعية مع الأعدا المسلمين.

وكان التاريخ المبكر للصراع الذى كان بين المسيحيين والمسلمين يمثل ذكرى حية فى ذاكرة المسيحيين. وكان لهذه الحقيقة الواضحة الدافع للبابا إنوسنت الثالث كى يسعى إلى اجتذاب المسيحيين لدعم خططه من أجل التعامل مع المسلمين.

ففى السادس والعشرين من إبريل ١٢١٣م قام البابا بكتابة رسالتين : الأولى كتبها فى تذلل لشقيق صلاح الدين الأيوبى سلطان " دمشق وبابل".. والثانية ذات لهجة متباينة تماماً موجهة إلى ألبرت بطرق بيت المقدس مطالباً فيها ألبرت بأن يتخذ الخطوات اللازمة لإنهاء هذا الوضع المشين بالنسبة للمسيحيين المقيمين بالأرض المقدسة .. كذلك طالب البابا كل من جان "ملك بيت المقدس" وفرسان بيت المقدس والحجاج والمواطنين والرهبان أن يحشدوا جميعاً صفوفهم للدفاع عن الأرض المقدسة. كما كان البابا يدعو البطرق كلما سنحت الظروف للتوسط بين المسيحيين.

لقد كان مجلس اللاتيران الثالث ومجلس اللاتيران الرابع يتضمن بعض القوانين "قوانين العقوبات" القضائية الشديدة لتكون الوسيلة الفعالة لإنهاء العلاقات التجارية بين المسيحيين والمسلمين. وقد تم وصف المسيحيين الذين خالفوا قوانين العقوبات بأنهم وقعوا فريسة للمغريات الدنيوية ومخالفة تعاليم المسيح .. ولكن رغم ذلك كان هناك اتصالات لا مفر منها بين المسيحيين والمسلمين .. وقد سنت القوانين

الكنيسة لأمرين، الأول : الحفاظ على مصالح المسيحيين فى علاقاتهم بالمسلمين والثانى : إجبار المسلمين على ارتداء ملابس مميزة كوسيلة للتعرف والسيطرة عليهم. كذلك أصدر مجلس اللاتيران الرابع (١٢١٥م) فى تشريعه رقم ٦٨ أنه على اليهود والمسلمين ارتداء ملابس مميزة لمنع إقامة أية علاقات بين المسلمين والنساء المسيحيات، وكذلك منع الرجال المسيحيين من إقامة أية علاقات بالنساء المسلمين أو اليهود كما أن هذا التشريع كان يهدف إلى منع اليهود من إهانة السيد المسيح أثناء الاحتفال الدينى للمسيحيين منذ تاريخ رحلة عذاب السيد المسيح عليه السلام .. وقد ترأس البابا "إنوسنت الثالث" من أجل الرد على الأسئلة التى دارت حول : دين المسلمين وعقيدتهم وشعائرهم الدينية وكيفية تنصير المسلمين المرتدين، ومدى إمكانية الزيجات التى تمكنهم من الحصول عليها.

ومن الأمور التى سببت حالة من الاستياء العام للبابا إنوسنت الثالث هو الحاكم المراوغ "ماركوارد" والذى تصرف بعنف فى دائرة نفوذه، وكذلك فى مملكة "فردريك الثانى" لقد ظل "ماركوارد" الذى تذلل فى وقت سابق أمام البابا .. يحتقر السلطة البابوية حتى مماته (١٢٠٢م). وقام البابا فى يناير (١١٩٩م) بتوجيه خطاب للكنهة والبارونات والقضاة والفرسان وجميع شعب "كابوا". ودعاهم أن يطيعوا الملك "فردريك الثانى" ملك صقلية وأن يحاربوا ما حشده ماركوارد حاكم أنكونا وأمير رافنا.

لقد منح البابا العفو من الخطايا إلى الذين يقضون على ماركوارد وأنصاره، وكذلك الأفراد الذين يدافعون عن المقاطعة الشرقية ضد المسلمين الأعداء . وقد شبه البابا إنوسنت الثالث "فى بادئ الأمر - ماركوارد - "بصلاح الدين" وذلك فى كتاباته المرسلة للزعماء والبارونات وسكان صقلية ثم واصل حديثه مشيراً إلى أن ماركوارد قد تحالف مع المسلمين المقيمين فى صقلية ضد الملك فردريك، وأنه - أى ماركوارد - ساعدهم على اغتصاب النساء المسيحيات اللاتى وقعن فى الأسر. ورغم ذلك فإذا ظل المسلمون مخلصون للملك فردريك فإن البابا سوف يرضى عنهم وسوف يدعمهم

ويساعد على رواج بضائعهم، ولن يدعم أو يساند من يتعاون مع "ماركوارد". ولكن البابا "إنوسنت الثالث" افترض أنه لو ظلت صقلية تحت حكم المسلمين فلن يكون هناك أمل لاسترداد بيت المقدس.. وبسبب قيام "ماركوارد" بحملات عدائية ضد فكرة الخوض في حرب صليبية سياسية ١١٩٩م بل دفع البابا لاستمالة المسلمين داعياً إياهم للبقاء مخلصين وصادقين له .. كما امتدح إخلاصهم في شعائرهم الدينية .. ودعاهم للوقوف خلف الملك فردريك .. ومحاربة ماركوارد .. فهذا ما سوف يحمي مصالحهم التجارية ويساعد على زيادة ورواج بضائعهم.

إن هذه الرسالة غير عادية وذات معايير متباينة لأنه :

أولاً : خاطب وراسل البابا أعداءه ووعدهم بالحماية في حالة محاربتهم "ماركوارد" الابن المسيحي الذي تحول إلى عدو.

ثانياً : كتب في تمجيد الرب لهم من خلال إراقة دم المسلمين.

ثالثاً : قام بمناقشة المسلمين عن ملاحظاته حول شعائرهم الدينية.

رابعاً: أشار إلى الحق في سلب أعداء الدين.

وفي النهاية : ذكر البابا "إنوسنت الثالث" أن خيار المسلمين هم الذين يتعاملون بالحسنى مع المسيحيين المخلصين.وبعد عدة أعوام وفي عام ١٢٠٦م قام "إنوسنت الثالث" بمخاطبة أشراف المسلمين بصقلية وعرض عليهم التسامح الديني والإحسان. كما قام بمدح هؤلاء وحثهم على البقاء مخلصين للملك فردريك الثاني. وفي الواقع كتب البابا هذه الرسالة في تسامح غير عادي نحو المسلمين الذين احتلوا أرض السيد المسيح، وكذلك الأرض الأسبانية المخلصة.

فهل كان ذلك .. مسألة تخطيط سياسي، أم إحساس عميق بالتسامح .. فمن هو "إنوسنت الحقيقي" ! هل كان الرجل الذي استطاع التضحية بالتزاماته الدينية من أجل صالح السياسة .. أم كان الرجل الذي استطاع التعايش مع أصحاب الأعراف الدينية الأخرى ؟ لقد أظهر البابا من خلال مراسلاته المصلحة الذاتية والذكاء

السياسي الذى استبعد التسامح الدينى من جانبه نحو هؤلاء أصحاب الديانات الأخرى ومع ذلك أظهر البابا مرونة كبيرة فى التعامل مع المسلمين .. وكما سنرى لاحقاً، فإن إنوسنت الثالث قد أظهر هذه الدرجة العالية من المرونة تجاه المسلمين عندما اكتشف عدم قدرته على مهاجمتهم فى أوقات ضعفهم، وعندما كان يحتاج لتعاونهم معه هذه المرونة سوف تكون لها أهمية كبرى من أجل افتداء الأسرى المسيحيين.

وتوضح الاتجاهات المختلفة التى اتبعها البابا إنوسنت الثالث فى تعامله مع المسلمين، الأسلوب الذي قام به البابا واتباعه لاغتنام خدمات الفرسان والرهبان وفرسان بيت المقدس والملك "جان" ملك بيت المقدس وعمليات تحرير الأسرى المسيحيين. لقد كانت خدمة السيد المسيح هى الشيء الذى اكتنف أرواح الجنود المتطوعين والأيدي العاملة الغير مجندة. هكذا كان يرد إنوسنت الثالث أى انتصار على المسلمين إلى مساعدة السيد المسيح باعتباره القوة الإلهية التى لا تقهر، وهو أسلوب لاهوتى دائماً ما يعول عليه رجال الدين المسيحيين فى كتاباتهم.

(٣) إنوسنت الثالث والأمراء المسيحيين وعلاقاتهم بالمسلمين

وحيث أن إنوسنت الثالث كان مدركاً لحدوده وعظمة رسالته بوصفه نائب المسيح فى الأرض ـ عليه السلام ـ لذا فقد أدرك ضرورة حل المشكلات للبلدان المسيحية، وبواقعية مطلقة، وإن كانت هزيلة، ولكنها كانت مبنية (قائمة) على حقائق عصره. فقد أعلن إنوسنت الثالث محذراً وواعظاً، كما أعلن قراره بالقطع من حضور الكنيسة، وكذلك العفو عن الحكام المسيحيين. وأدرك أن قوته تتمثل فى امتلاكه لقوة السلطة القائمة على الحزم والعزم والسلاسة فى آن واحد .. وبتعامله مع الوقائع المادية والوقائع المعتادة .. علم البابا أن حرمان المذنبين من حضور الكنيسة سلاح لم ينجح فى إرهابهم للتراجع عما هم فيه .. وبالرغم من ذلك لم يتراجع البابا من حث الحكام المسيحيين على تحرير الأراضى المقدسة .. إذ كان ذلك حلم البابا. وفي الواقع كان

حلم البلدان المسيحية ذاتها أيضاً. أما بالنسبة للمسلمين فقد توجه البابا إليهم برسائله من أجل تأمين عملية تحرير الأراضى المقدسة. وكان الهدف هو تحرير أسرى المسيحيين، ورغم ذلك كان اهتمامه الأكبر مركزاً على تحرير الأرض المقدسة. ولذلك اهتم بإعادة التسليح أكثر من اهتمامه بتحرير الأسرى المسيحيين. لقد كان اهتمامه غير مباشر بشأن مصير الأسرى. ولكنه كان مرتبطاً بتحرير الأرض المقدسة والأراضى المسيحية فى أسبانيا.

وفى بداية شهر مارس ١١٩٩م أصر البابا "إنوسنت الثالث" على البدء فى لعبته من أجل الاسترداد.ففى أغسطس ١١٩٨م قام بكتابة خطته فى مراسلات إلى الملك الفرنسي "فيليب" (١١٨٠-١٢٢٣م) وكذلك أرسل إلى "ريتشارد قلب الأسد" ملك انجلترا (١١٨٩-١١٩٩م)، وكذلك إلى أساقفة هاتين المملكتين. وداخل هذه المراسلات رسم خطته من أجل استرداد الأرض المقدسة والتى كانت تتطلب إحلال السلام بين المسيحيين .. فقد كانت الحرب الداخلية بين الأخوة المسيحيين تشكل إعاقة كبيرة لخطة الاسترداد.. وقد تسببت الحرب بينهم فى عمليات تدمير ووقوع خسائر كبيرة ومذابح داخل مملكة بيت المقدس، ووقوع كثير من المسيحيين فى الأسر.

لذا فقد كان القليل من المسيحيين المؤمنين هم الحريصون فقط على محاربة المسلمين الأمر الذى أدى إلى ضعف آمال استرداد بيت المقدس والأراضى المقدسة. وهو الهدف الذى قام البابا إنوسنت الثالث بمخاطبة الكسيوس كومنين، إمبراطور القسطنطينية (١١٩٥ - ١٢٠٣م). موبخاً إياه - على لسان المسيح عليه السلام - نظراً لعدم قيامه وبذل قصارى جهده من أجل استرداد الأرض المقدسة، قائلاً له : (إن المسيح نفسه يحذرك بهذه الكلمات) "لقد كنت غريباً وأنت لم ترحب بى .. وكنت مريضاً ولم تعودنى .. وكنت سجيناً ولم تأتى لى". وأضاف البابا قائلاً : "إن الأجانب قد دنسوا السيد المسيح (أى دنسوا معبده) بل سلبوا خشبة المسيح نفسه".

إن فكرة الأسر والاسترداد بالنسبة للبابا قد ارتبطت بالمسيح من جانب واحد وهو الشعور بالانتماء للأرض، ويجب على المسيحيين الاهتمام بهذا الشعور لأنه بمثابة الحساب الأخير، وللمرة الثانية يكتب البابا "للامبراطور الكسيوس" محذراً أنه في الحساب الأخير سوف نذكرك بالعبارة التالية، والبشارة الإنجيلية على سمعه : "لقد كنت غريباً.. وأنت لم ترحب بي .. وكنت مريضاً سجيناً .. ولم تأتي لتراني". وفي كتاباته عن العدو، أطلق عليهم البابا لقب "المسلمون الوثنيون" و"أعداء المسيح" وفي ديسمبر ١١٩٩م قام البابا بتوجيه تحذير جاد للملك فيليب "ملك فرنسا" والملك جون "ملك انجلترا" الذي خلف ريتشارد قلب الأسد، وكتب لهم عن الأرض المقدسة وضرورة استردادها. وكانت تلك فرصة عظيمة للبابا للتأكد على موضوع هام بالنسبة له وهو "منفى السيد المسيح" إذ ذكر البابا إنوسنت الثالث، "إنه إذا كان العبيد ملزمين باسترداد ملك دنيوى فمن الواجب الالتزام باسترداد الملك السماوى من أسر الأعداء"، وقد أشاد البابا بالملك "بيتر" ملك أراجون (١١٩٦-١٢١٣م) الذى سعى لاسترداد هذه الأرض، ذكر البابا أنه بدون مساعدة الممالك الأسبانية الأخرى، لما استطاع "بيتر" النجاح على المسلمين أو استرداد الأرض المقدسة المسيحية والتى وقعت في الأسر مرة أخرة في أيدى المسلمين. وفي نفس الرسالة أوضح البابا نواياه بخصوص الملك قائلاً "والآن بما أننا نصرّ على أهدافنا، حتى وأن حزب الأعداء يبدو وكأنه يزداد وينمو مما جعل ملك مراكش قد انتصر على ملك مايورقا (١٢٠٣م). إن المساحة المخصصة لهذه الدراسة لا تسمح لنا بالإسهاب في الحديث حول مراسلات "إنوسنت الثالث" التى حاول من خلالها قيادة الحكام المسيحيين من أجل استرداد الأرض المقدسة، وإعادة تسليح أنفسهم لتحقيق هذا الهدف.

ولكن يمكن أن نوضح - بإيجاز - أن مراسلات إنوسنت الثالث مع الأمراء المسيحيين أوضحت بعض الميول المختلفة والمتباينة له تجاه المسلمين .. وعموماً فقد كان إنوسنت الثالث مهتماً باسترداد الأراضى المقدسة، وكذلك قضية الأسرى المسيحيين ومحاربة المسلمين.

أما فيما يتعلق بمراسلات إنوسنت الثالث مع الحكام المسلمين فإن ما وصل إلينا هو أربعة خطابات بعث بها إلى الحكام المسلمين فى الأعوام ١١٩٩، ١٢١١، ١٢١٣. وآخرها تم كتابته عام ١٢١٥ أو ١٢١٦م .. وأول هذه الرسائل تمت كتابتها فى الثامن من مارس عام ١١٩٩م. إلى "أبو عبدالله محمد الناصر" أمير المؤمنين ، هذه الرسالة كانت تتعلق بأكثر الأمراء تولياً للخلافة من أسرة "المهاد" .. ونظراً للأهمية الغير عادية لهذه الرسالة فسوف نكتب عنها لاحقاً فى هذه الدراسة.

وفى السابع من يونيو ١٢١١م .. قام البابا إنوسنت الثالث بتوجيه رسالة إلى الملك "الظاهر غازى" سلطان حلب (١١٨٦-١٢١٦م) (٥١٦- ٦١٣هـ) موصياً إياه ببطرق أنطاكية .. وقام البابا بمدح السلطان الذى رغم عدم تعميده فى الكنيسة إلا أنه كان يحترم العقيدة الكاثوليكة ويتفق فى الآراء مع العقيدة المسيحية.

وقد كان هذا أمر غير عادى من البابا أن يوجه الشكر إلى حاكم مسلم لقيامه بالدفاع عن الكنيسة ضد الهجمات التى تواجهها .. وهذه الرسالة من أكثر الأدلة على مواقف البابا الدبلوماسية تجاه المسلمين .. حيث أنه بعث فى نفس اليوم برسالة إلى بيتر بيدموند بطرق أنطاكية (١٢٠٩-١٢١٧م)، فبعد أن قام البابا بمواساته قام بحثه وتشجيعه على بذل أقصى جهد وبالمساعدة الإلهية للعمل على إزالة خامس الحكام المسلمين من الأرض المقدسة.

ونظراً لأن سلطان حلب الذى أرسل إليه البابا إنوسنت الثالث فى ٢٦ إبريل عام ١٢١٣م هو حاكم "سلالة الأيوبيين" والسلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر سلطان دمشق ومصر (١١٩٦-١٢١٨م) (٥٩٢-٦١٥هـ) ، لذا فإن هذه الرسالة الموجهة إلى السلطان ما هى إلا إشارة إلى الأسرى الذين يضاعف عددهم من المسيحيين، والأسر نوعان؛ الأول أسر الأراضى المقدسة، والثانى هو الاستعباد الفعلى للأسرى المسيحيين.. من وجهة نظر مسيحية، ومن الواضح أن البابا كان يعبر عن نفسه بشكل غير عادى وفيه مخاطرة، لقد قام بكتابة هذه الرسالة بعد توليه الكرسى

البابوى بخمسة عشر عاماً، وخلال تلك الفترة تعرضت العقيدة المسيحية للتمزق. ولم يكن الدافع إلى استرداد الأرض المقدسة مسألة حماس شعبى .. وما بين عام ١٢١٧م وآخر عام من توليه الكرسى البابوى ١٢١٦م قام البابا بالكتابة لنفس السلطان . طالبا منه إعادة مقاطعة بيت المقدس والبلدان المسيحية "الدولة المسيحية فى الشرق".

لقد ظلت عقيدة "إنوسنت الثالث" الدينية ثابتة، ولكن التجارب التى خاضها قد أضعفت من صوته، ورغم ذلك مات البابا وهو لايزال مقتنعاً بحلمه.

(٤) "إنوسنت الثالث وأبو عبد الله محمد الناصر" أمـــير المؤمنـــين

فى أول عام من تولى البابا منصب البابوية أظهر إنوسنت الثالث اهتماماً كبيراً بتحرير الأسرى، ومع بداية عامه الثانى بادر بالكتابة لملك مراكش وأمير المؤمنين "أبو عبد الله محمد الناصر" حيث كتب له عن التكافل الإنسانى والتوحد مع الدعوة الأنجيلية صاحبة الإحسان الرحيم، هكذا أرسل إنوسنت الثالث إلى أبى عبد الله أما الخطابات التى تمت كتابتها فى ١٧ ديسمبر ١١٩٨، ٨ مارس ١١٩٩م، فكانت [illegible] وى تصورات غير عادية ضمن الأحكام البابوية العليا، فالتصور الأول : يظهر ميول الإنسان بالفطرة الإلهية، والتصور الثانى : يشير إلى التقرب إلى الله بالعمل .. وهناك نتيجتان لتقديم مثل هذه الأمور وطرحها أمام حاكم مسلم وهما : نتيجة إيجابية وأخرى سلبية، (ذلك أن المسلمين قد قاموا بوضع حكم ونظام فى الأراضى المقدسة يسمح بتبادل الأسرى بين المسلمين والمسيحيين).

لقد كان الحاكم "حاكم مراكش" الذى أرسل إليه البابا خطابه الشهير بتاريخ ٨ مارس ١١٩٩م من أبرز حكام العالم الإسلامى، فوفقاً لوصية والده تولى محمد الناصر الحكم خلفاً لوالده فى نهاية يناير ١١٩٩م، وهذه الرسالة المرسلة من البابا هى وثيقة استثنائية حقاً، فهى تتناول العلاقات بين الإسلام والمسيحية من جهة والعلاقات

بين البابوية والإسلام من جهة ثانية، وذلك أمر نادر حقاً. وفى هذه الوثيقة تحدث "إنوسنت الثالث" عن الحاكم المسلم أمير المؤمنين وملك مراكش. وقد كان الناصر أكثر من مجرد ملك إذ أنه كان كامبراطور فقد كان زعيم سلالة المهديين الذين سيطروا على منطقة شمال إفريقيا من تونس حتى المحيط الأطلنطى، وكذلك الجزء الإسلامى فى أسبانيا. ولقد مات الناصر عام ١٢١٣م. وقد أمدتنا فترة حكم الناصر بالرد على هذه الرسالة البابوية، فقد برهن هذا الحاكم لسلالة "المهاديين" بأنه كان أكثر الحاكم اعتدالاً ومن والده شخصياً، وعند الكتابة حول تاريخه فإن المؤرخين يؤكدون على أن غزو مراكش لأسبانيا فى فترة حكم الناصر قد تعرض فيها المسلمون لهزيمة على أيدى المسيحيين فى معركة العقاب عام ١٢١٢م من خلال حملة صليبية كان قد أرسلها البابا إنوسنت الثالث لاسترداد أسبانيا إلى حوزة المسيحيين.

ويسبب شهرة الناصر باعتداله لم يعانى المسيحيون من أية اضطهادات فأثرت هذه الأحداث التاريخية بالتأكيد على البابا إنوسنت الثالث مما أدى به إلى تفضيل الحاكم الناصر كحاكم للغرب الإسلامى عن أى أحد من نظائره من الحكام المسلمين بالشرق .. وهذا الموضوع يستحق دراسة أكثر عمقاً .. والملاحظات التالية تمدنا بتفسير لذلك التفضيل .. أولاً وقبل كل شئ، كان الناصر وقتها هو الحاكم الوحيد على أكبر جزء من العالم الإسلامى .. وقد يحتار المرء بشأن محاولة "إنوسنت الثالث" فى سلوكه تجاه الغرب الإسلامى وفى سعيه للتعامل مع مشكلة الأسرى المسيحيين وتركه حل مشكلة الأسرى مع حكام المشرق الإسلامى .. فربما كان يعتقد أن ذلك كان أسهل وأقصر طريق قد يؤدى إلى الأسكندرية فى النهاية ثم إلى دمشق..أضف إلى ذلك، فمن الممكن أن البابا كان يعتقد أن الحاكم المسلم للجزء الغربى من العالم الإسلامى قد يؤمن له ممراً إلى الأسرى المسيحيين فى الشرق .. وتعد الاعتبارات والاحتمالات السابقة هى أمور خاضعة للتأمل والتفكير .. فمن خلال سياق النص نجد أن البابا قام بتعريف الأسرى والمفتدين المسيحيين بأنهم مجاهدون تحت لواء المسيحيين .. وأنهم ذووا دور هام وجاد وواضح نحو تحرير المسيحية.

وللخطاب أهمية خاصة .. لأن البابا قد عبر من خلاله عن اتجاه رسمى جديد ووحيد من نوعه نحو المسلمين .. حيث أنه قد أشار مباشرة إلى الغرض من كتابته وهو تحت شعار "عمل الرحمة" .. وتلك الافتتاحية كانت مختلفة تماماً عن الافتتاحيات الأخرى التى استهل بها خطاباته إلى الحكام المسلمين الآخرين.

ونص الخطاب هو "من بين الأعمال الرحيمة التى يوصينا بها السيد المسيح فى التبشير لعقيدته هو الاهتمام بافتداء الأسرى". لذا فقد بادر البابا بانتهاج سلوك نزع السلاح وفقاً لمبدأ الرحمة .. ولم يكن هناك شيء أكثر ملاءمة لتحقيق هذه الغاية إلا الاقتباس من النص، ومن كمال الوحى ومن الإنجيل نفسه. لقد كان افتداء الأسرى مذكوراً فى الخطاب بأنه أمر إنجيلى ، والذى لم يكن أمراً أقل أهمية على الإطلاق من الأمور الأخرى. إن عملية التحرير التى قدمها "إنوسنت الثالث" للناصر لم تكن من تصوره بقدر ما كانت نابعة من العقيدة المسيحية الخالصة لأسقف ومعلم علم اللاهوت والدارس فى باريس .. ولقد عرض هذا المشروع على مستوى الكنيسة المحلية ونال الدعم والتأييد .. لذا فقد تبنى البابا هذا المشروع وجعل منه هدفه الخاص ووضع له اسماً "خطة تحرير المسيحية"، ولم توجد أية خطط أخرى بمثل هذا النطاق الشامل .. وقد قام بعض الرجال الذين أشعلهم حماستهم حب الله ـ قبل ذلك بوقت قصير، بتأسيس حكم ونظام جديدين وأنفقوا تقريباً ثلث دخلهم على تأسيس هذه المؤسسة التى كانت هدفاً لهم من أجل افتداء الأسرى. ولم يكن هؤلاء الرجال رهباناً ولا أساقفة لاتين أو يونانيين، علاوة على ذلك فلم يكونوا أيضاً ممن كان يراهم رجال الدين الآخرين من الأعداء. وكان يطلق عليهم "فرسان الهيكل" "وحراس بيت المقدس". ويذكر إنوسنت الثالث أن المسلمين كانوا يعاملون هؤلاء "حراس بيت المقدس" بلا رحمة ولا هوادة؛ بالإضافة إلى ذلك قام البابا بالتأكيد على التعبير القائل "بأن الذين أشعلهم حب الله قبل ذلك بوقت قصير" إذ أن البابا كان يقصد قيادتهم نحو خطة إلهية دينية .. وإذا كان هذا المشروع الجديد بمثابة التزام شعبى وأبدى فهو يعنى الاستحسان ونبذ منطق العداء لذا فإن ما تبقى هو إقناع أعداء الدين المسيحى الذين يتبعون إلهاً آخر.

لقد كان هذا الخطاب فى الواقع خطاب غير عادى لأن البابا تواصل من خلاله مع حاكم مسلم بدافع المحبة بعيداً عن أى مصلحة ؟! ففى خطاباته الأخرى كان البابا يعبر عن مشاعره من التسامح إلى الرغبة فى الوعظ إلى التهديد وفقاً لمتطلبات الموقف .. بينما فى هذا الخطاب حاول البابا تقديم المشروع الذى تبنته مجموعة مسيحية تحت لواء المسيحية ذاتها .. وفى محاولة منه لوصف مسألة تحرير الأسرى من الحكام المسلمين جعله ينشغل بالدعوة لمثل هذا المشروع الذى تبناه .. وهذا المشروع ممكن أن يصدر منا نحن أبناء العصر الحديث .. ولكنه كان أفضل شئ استطاع البابا تقديمه، فلم يكن لديه شئ آخر ليقدمه .. وكانت هذه أول خطة تولد من المسيحية وتبتدع من أجلها.

ولأن هذا المشروع أصبح هدف البابا الخاص، فقد قام بالإعداد له من خلال منحه اهتماماً خاصاً "والحق القوى من أجل توحيد قوى المسيحيين" .. وهذا الاهتمام أفسح المجال لتحقيق البشرى الإنجيلية .. وأيضاً كان الاهتمام الذى أدى إلى الصراع بين سياسات ومصالح الأمراء المسيحيين، وقد كانت المصالح السياسية والمصالح الخاصة للحكام المسيحيين أهم لديهم من افتداء أقرانهم المسيحيين، وعلى كل حال كان العمل بالخطة قد بدأ بالفعل وقد كان عملاً فورياً والذى نقض بدوره المعايير التشريعية بأنه يمكن للمرء دفع الفدية من أجل افتداء الأسرى المسيحيين الواقعين فى أسر المسلمين. ولقد دافع البابا إنوسنت الثالث عن هذا المشروع الخاص بالمفتدين المسيحيين، بل وأخبر الحاكم المسلم عن رضاء تام. وقد كان لدى البابا رغبة فى أن يخبر "الناصر" أنه كانت هناك مجموعة من الرجال الغير مسلمين والذين قد يدفعوا الفدية وهم رجال ذوى امتياز إكليركى ولهم الحق فى تخليص الأسرى المسيحيين من الأسر.

لقد وجد المسيحيون في الأسرى المسلمين استثماراً جيداً جداً. ففي عام ١٢١٢م قام إنوسنت الثالث بتشجيع فرسان الهيكل والأمراء المسيحيين عبر البحار على مبادلة أسراهم المسلمين بأخوانهم المسيحيين الذين قد تم أسرهم من المسلمين والذين كانوا معرضين لخطر الارتداد عن دينهم نظراً لما يعانونه من العذاب .. وسوف يقوم المسيحيون المفتدون برد نفس الخدمة في المقابل للمسلمين الذين قاموا بتحريرهم حيث أنهم سوف يقومون بتسليم سادتهم من المسيحيين .. ورغم ذلك فلم يبد الأمراء المسيحيين والجماعات العسكرية الدينية أى حماس واهتمام لعرض البابا "إنوسنت"، فبالنسبة للحكام المسيحيين فإن قوة السيطرة على الأسرى الأعداء من المسلمين الأشرار كانت الدافع وراء التوسع وزيادة القوة ومنح المجد للإله .. ولكن إصرار البابا على افتداء الأسرى كان هدفاً نافعاً .. فقد كان الإحسان في الواقع عاملاً مفيداً بشكل دائم، وكان بإمكان السياسة إيجاد حل لشقاء الإنسان .. لقد كان الاهتمام بجماعة المفتدين المسيحية قوياً، حيث أنهم كانوا رجالاً على أتم استعداد لإعادة الاتباع المسلمين "للناصر" إلى أرضهم.

لقد كان هذا المشروع قائم تماماً على نصوص الإنجيل وخالى من السياسة، وكان الذين يفدون الآخرين يقومون الفدية شخصياً، كما اعتمدوا على الإحسان الحر من الفقراء وكانوا غير مسلحين وسعوا لتحقيق هدفهم بالرحمة ..وقد واجهت تلك الجماعة صعوبات عديدة في التعامل مع مطالب المسيحيين الذين كانوا مسؤلين عن هؤلاء الأسرى المسلمين وكذلك واجهتهم العديد من العوائق في سبيل تحقيق هذا المشروع الذى يهدف إلى إعادة الأسرى إلى وطنهم أحراراً تماماً .

ويوضح الخطاب الذى تم إرساله إلى بطرق بيت المقدس في ١٣يناير١٢١٢م مدى التضارب لهذا المشروع، إذ كان هذا الخطاب لا يدل على طلب بطرق الأسكندرية والأسرى المسيحيين أنفسهم الذين كانوا يسعون لتحقيق هذا المشروع من أجل المحافظة على العقيدة، وأن البعد عن هذا المشروع قد يسبب

معاناة كبيرة سوف يواجهها الأسرى ـ وقد عبر الأسرى ببساطة عن رغبتهم بمبادلتهم بالأسرى الأعداء، وكان لديهم الرغبة أن يكونوا فى خدمة سادتهم المسيحيين .. كما كانت لديهم الرغبة فى أن يظلوا يتلقون هذه المعاملة.. ياله من تضارب كبير بين المفتدين ورغبتهم فى هذا المشروع، والحكام المسيحيين الذين يرفضون ذلك.

وفى عام ١٢١٣م تم تقديم دعوة لـ"سيف الدين" بتواضع شديد، إذ أن إنوسنت الثالث كان يثق فى فطنة السلطان.. وقد كانت مسألة تحرير الأسرى من كلا الجانبين "الإسلامى والمسيحى" تؤدى إلى فشل مشروع التحرير الذى تم تقديمه إلى الأمراء المسيحيين والجماعات الدينية العسكرية المسيحية.

كان مجلس اللاتيران الرابع الذى أعلنه البابا إنوسنت الثالث فى نهاية العام التالى من ولايته للبابوية، كما دعا إليه فى عام ١٢١٣م بمثابة تقييم شامل لما تم عمله.. وما سوف يتم عمله من أجل استرداد أسبانيا والأرض المقدسة.

وبمعنى أخر، كان هذا المجلس يمثل صورة عامة للعلاقات مع المسلمين، وكانت البلدان المسيحية جميعها تطالب بإتخاذ بعض القرارات فى مسألة تحرير الأسرى، وكان المسيحيون يصرون على استرداد الأرض المقدسة، ولكنهم وقفوا عاجزين بشأن تحرير الأسرى المسيحيين .

وقد أصدر مجلس الاتيران الرابع دستورين تناول فيهما العلاقات مع المسلمين، ففى دستور (المادة) رقم ٦٨ طالب المجلس بتوقيعات واضحة قد تسمح بالتسليم المباشر للمسلمين.

وقد يحول هذا دون الاختلاط بالمسيحيين "أى التجاوزات التى قد تنجم عن مثل هذا الاختلاط". أما المادة رقم ٦٩، فقد أزال مسألة السماح لليهود فى تقلد المناصب العامة ـ كما أمتد هذا الدستور ليشمل المسلمين ـ على حد قولهم ـ أى قول المؤرخ، وفى المادة الأخيرة من مجلس اللاتيران الرابع تناول مسألة استرداد الأرض المقدسة، وبدأ كالآتى :

"من أجل تحرير الأرض المقدسة من أيدى الكفار"..وفى سياق عملية التحرير تم مناقشة ـ التوتر الناشئ والخلافات مع المسلمين .. تم بعد ذلك إعادة التأكيد على مسألة منع الاتجار معهم. كما تمت مناقشة نشاط إمتلاك السفن التجارية المسلمة الخاصة بالأعداء المسلمين .

وفى خلال فترة الخمسة شهور الأخيرة من ولاية البابا إنوسنت الثالث قام بآخر محاولة من أجل استرداد الأرض المقدسة. ومن خلال القرارات التى اتخذها فى العام الثامن عشر من بابويته، أرسل خطاباً لجميع المسيحيين حيث حتم عليهم وألزامهم بمساعدة إخوانهم المسيحيين الذين يحاربون عبر البحار وذلك حتى ولو بقوة السلاح ..وفى النهاية وقبل وفاته ببضعة شهور قام البابا إنوسنت الثالث بكتابة رسالة فى ٨ يناير عام ١٢١٦م إلى جميع الصليبيين المجاهدين فى سبيل الله داخل مقاطعة "بريمن" وبعد قضاء فترة البابوية فى بذل جهود كبيرة ومتواصلة من أجل استرداد الأرض المقدسة، فإن البابا واصل إصراره على تحرير المناطق المقدسة وكان لهذه الرسالة مغذى يدل على الإصرار الذى كان فى الخطاب العام الصادر فى إبريل ١٢١٣م، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الأسرى المسيحيين فى هذا الخطاب، حيث أن موضوع استرداد الأماكن المقدسة كان هو الموضوع الجوهرى والرئيسى.

وكان على المرء استرداد الأرض المقدسة، حتى لو كان ذلك يعنى عدم تحرير المخلوقات البشرية. ونظراً لقوته المطلقة فقد أباح البابا إنوسنت الثالث حدوث كل شئ فى علاقاته بالمسلمين . من القوة إلى الضعف والتذلل، من التهديد إلى الصفح، من الصرامة إلى الاسترضاء من الاحترام إلى الاستخفاف، من التأييد إلى النبذ.

وفيما يتعلق بالمسيحيين، فقد كانوا مضطرين لخوض الحرب المقدسة ضد المسلمين "العمل فى سبيل الله" وقد ساهموا فى هذه الحرب إما من خلال التطوع أو استثمار أموالهم وبضائعهم فى عملية النضال ضد المسلمين، وكان الحرمان من دخول الكنيسة هو العقاب الذى ينتظر هؤلاء الذين أقاموا علاقات شخصية مع المسلمين، وكانت هناك استثناءات خاصة بالنبوءة المسيحية لتلك النماذج من المسيحيين الذين شاركوا فى الحرب وهم الحالمين من المسيحيين الغير مسلحين الذين كانوا بعيدين عن خطة السياسية التى تقوم على التسليح الخاصة بالقوى المركزية.

وربما كانت هذه هى القدرة الدبلوماسية والسياسة الغير عادية لبابا، مثل إنوسنت الثالث، حيث أنه الكاهن ونائب المسيح فى الدنيا والوسيط العالمى، والشىء الوحيد الذى كان أسمى منه هو الجنة .. ولكن الأرض جميعها نهجت منهجه الخاص.

المصادر والمراجع

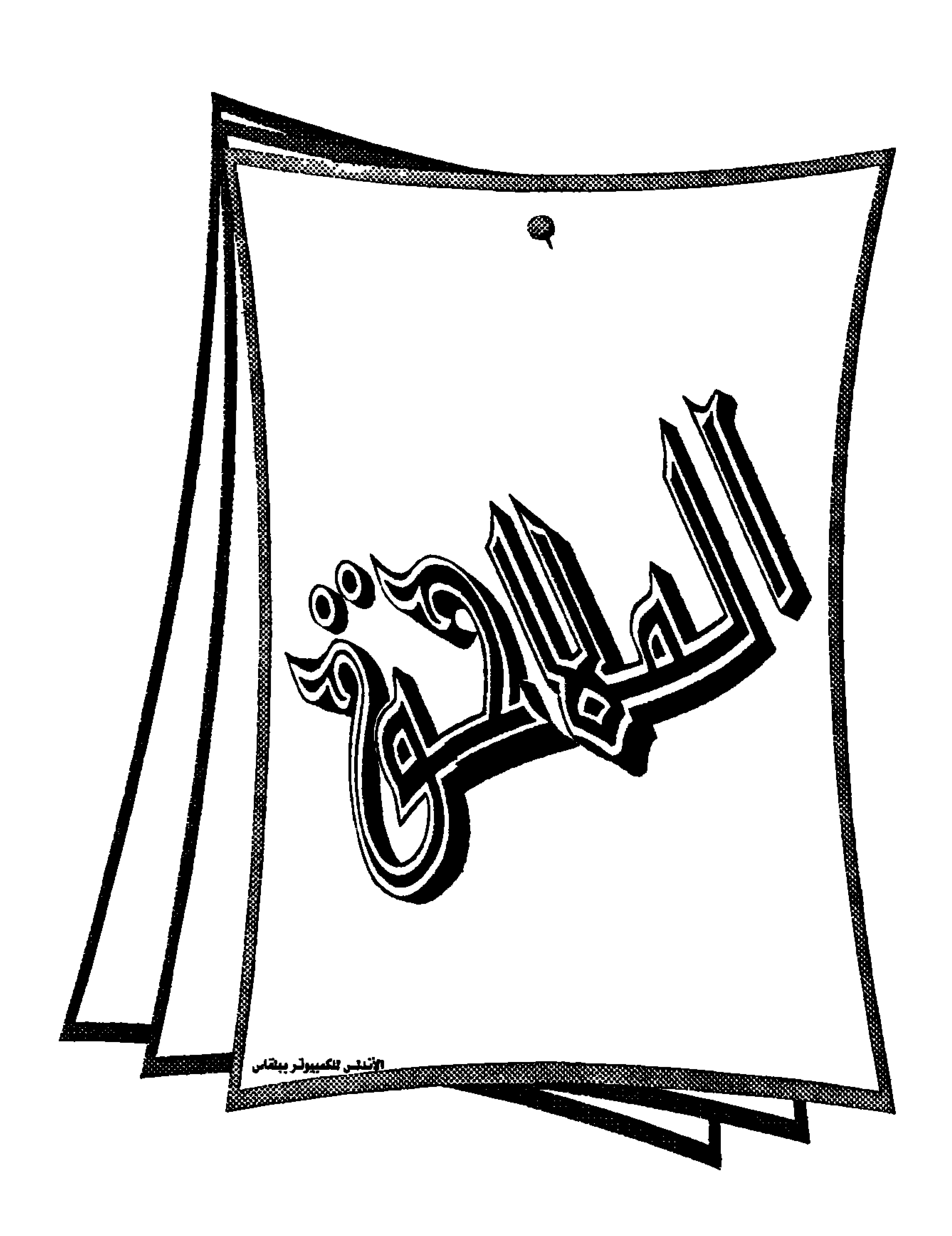
(١) هكذا كان إنوسنت الثالث ينعت المسلمين، بل كان فى معظم رسائله ينعتهم "بالكفرة" "الملحدين" "الخنازير" وهى دلالات قوية على تعصب وكراهية إنوسنت الثالث الشديدة للمسلمين "المؤلف".

(٢) موقعة العقاب الشهيرة التى هزم فيها الموحدين، فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك

(٣) المقصود هنا المسلمين فى الشرق.

(٤) تم نشر أعمال إنوسنت الثالث فى نهاية هذا البحث.

(٥) نعت المؤلف هنا المسلمين بلفظ *Infidel*، وهو دليل على تعصب المؤرخ، وهى سمة معظم مؤرخى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى. "المؤلف"


الملاحق

الرسالة الأولى

مرسوم البابا إنوسنت الثالث بفرض ضرائب على الكنيسة
من أجل الحملات الصليبية على الشرق. صدر المرسوم فى خلال الخطاب الذى
بعث به البابا إلى رئيس الأساقفة ورجال الدين فى إقليم "Magdeburg"
حررت الرسالة فى٣١ ديسمبر ١١٩٩م

المصدر :

Innocent III, P.L. CCXIV, Cols.829 -31.

نص الرسالة :

لقد قمنا بمناقشة موضوع المساعدة إلى الأراضى المقدسة مع إخواننا، ولكى لا نبدو وكأننا نضع أعباءًا ثقيلة على أعناق المشاركين والتى لا نرضى أنفسنا أن نحملها ولو بأصبع واحد من أصابعنا، فنكون بذلك غير قدوة ونقول بأفواهنا ما لايطابق أعمالنا. ولهذا فقد قمنا بترتيب وبموافقة الأساقفة ورجال الدين الآخرين القائمين بالعمل الرسولى، بفرض ضريبة العُشر "اى عشر إيراداتنا" من الأموال وغيرها لتكون خصيصاً لمساعدة المقاطعات الشرقية ؟ كما قمنا بإسقاط جزءاً ليس بالقليل من هذا العشر لسد احتياجاتنا لأن مواردنا الأخرى لم تكن لتكفينا، ولما كانت الظروف الحالية أكثر خطراً عن العادة المألوفة، فإن هذا الأمر يتطلب منا نفقات عالية ومرتفعة. ولابد أن نوضح لكم نيتنا وأهدافنا وذلك من خلالكم أنتم، وهى علامة تدل على الكرم ليقتدى بقدوتها *The Laity* "أى العامة من الناس الذى بدأ يُعمل ويُدرس به!

وعلى الرغم أننا لا نستطيع أن نعطى أو نقدم شيئاً يخصنا، إلا أنه يجب على الأقل أن نرد إليه جزءاً قليلاً مما يمكله إليه، والذى برحمته قد أعطانا كل شىء، ولكى نحدد المساعدة الضرورية للأرض المقدسة سواء من الرجال أو المؤن، فإننا نقترح أن نرسل إلى هناك إبنينا المحبوبين. وهما الكاردنيال سوفرد "*Soffered*"

من "St.Praxedis" وكذلك رئيس شمامسة "St. Maria" وهو يدعى "Peter" من "Via- lata" وقد قمنا بوضع شارة الصليب على صدرهما بالفعل وسوف يقومان بقيادة جيش السيد، حيث يكونان بالنيابة عنا، فيمكن أن يلجأ إليهم كل واحد باعتباره الرئيس والسيد.

ولأننا نشعر جيداً أن هذا ليس كاف، بل قليل، وفى الحقيقة قليل جداً لمواجهة الاحتياجات والمتطلبات الكثيرة جداً لهذه المقاطعة، فنوصيكم جميعاً فى تلك الرسائل الرسولية ونصدر أوامرنا بشدة إلى كل منكم تحت تهديد القانون المقدس وبالنيابة عن الرب الرحمن الرحيم وبقوة الروح القدس أن تعيدوا إليه ١/٤٠ من إيراداته الروحية من الأموال والدخول العينية لمساعدة الأرض المقدسة، بعد سداد الديون. ونحن بإيماننا وبرحمة الرب الرحيم وسلطان الرسل المباركين بطرس "Peter" وبولس "Paul" نقوم بتخصيص ١/٤٠ من الضرائب الدينية المفروضة على رجال الدين والأساقفة والتابعين لهم الذين يقومون بدفع ١/٤٠ عن رضا وإخلاص طالما لايمارسون الخداع والغش، بل ويؤيدون هذه النفقات بتكريس وورع، ويجب أيضاً أن نعرف أن أى إنسان يرفض أن يعطى فى مثل هذه الظروف الملحة مثل هذه المساعدة الزهيدة لخالقه ومخلصه، والذى منه استقبل جسده وروحه وكل شئ من خير ما يمتلكه فإنه يستحق اللوم والتوبيخ بعنف. ونحن الذين نعمل ونتصرف بالنيابة عن الله فى الأرض، فلا نستطيع تحت أى ظروف أن نخفى خطراً أو خطأ يقع، ولا يجب أن نعتقد أننا نعتزم أن نستخدم ذلك لنفرض قانوناً عليكم فوق طاقتكم، بل يجب أن تؤمنوا أنه من الآن فصاعداً أنكم ستقومون بدفع ١/٤٠ كواجب أو تقليد ! علاوة على ذلك لا نتمنى لكم أن تسقطوا وتهلكوا فى أمر كهذا، بل أننا نحزن على أنه هناك أزمة حلت بنا فى مثل هذه الحاجة الملحة، بل ندعوا جميعاً ألا تحل مثل هذه الأزمات مرة أخرى.

ومع ذلك، فإنه إذا لم يكن من الممكن جباية هذه المساعدات في "*Magdeburg*" في مثل أحوال الاعتداءات أو أية عوائق أخرى واضحة فنحن نأمركم أيها الأخوان رئيس الأساقفة والأساقفة في الكندرائية على أن تنتظموا للتقابلوا دون تأخير في اثنين أو ثلاثة أماكن من إقليم "*Magdeburg*" وتناقشوا بين بعضكم البعض مراحل ومبادئ المهمة الرسولية بخصوص ما يتعلق بتقديم المساعدات للأرض المقدسة، وبعد العودة ينبغي أن ينادي كل منكم إلى عقد اجتماع في إبرشيته مباشرة، ويأمر بسلطاننا كل رؤساء الأديرة وكل البيوت المعفاة وغيرها، الأساقفة الثانويين ورجال الدين القائمين الذين يعيشون في الأبرشيه على أن تقدم إيراداتهم ودخولهم من الأموال والدخول العينية بحساب دقيق، ولابد أن يرسلوا دون تأخير أو تأجيل خلال ثلاثة أشهر من الإعلان الذي أعلن لهم، وهو أن يقوم الواحد منهم بدفع ١/٤٠ مع الأسقف نفسه وعديد من رجال الدين كشهود في مكان ما بالأبرشية ذاتها، ثم يقوم بجمع بعض الصديقين وأهل الرأي والمشورة للحماية والأمن.

ونحن نصدر أوامرنا إليكم أيها الإخوان من الأساقفة ورؤساء الأساقفة أن تنفذوا وتقوموا بهذا العمل بنفس الحزم والقوة. غير أنه يجب أن نستثني من هذه القاعدة العامة الرهبان والنساكين "*Cis-Premonstra Lension, Terciaun*" والأملاك الموقوفة "*Grandmortire*" والـ "*Carthusian*" حيث أنه قد أرسل إليهم وصايا خاصة بهذا الأمر. ونحن لا نتمنى ولا نأمل أن الذين يتحملون الآلام بضعف دخولهم من الأموال والدخول العينية أن يتجرأوا ويجازفوا بمخالفة هذه الأوامر، حيث أنه من المحتمل ألا يدفعوا ١/٤٠ من ممتلكاتهم كاملةً، وربما يكون ذلك بسبب جهله أو عدم التروي والتأني، ولكن يجب أن يقوموا بالدفع كاملاً طالما قاموا بدفع القليل

بطريق الخطأ، وإذا قدر الله، إن فكر أحد وامتنع عن دفع أى جزء من ١/٤٠ من ممتلكاته بسبب جهله، فإنه يجب أن يُعفى من العقوبة تماماً بسبب خطأه. طالما قد قدم عن رضا كفايته، ولا يندهش أحد أو ينزعج أننا قد أمرنا بذلك تحت هذه التهديدات منذ أن تطلبت منا الضرورة القصوى هذا العمل، ذلك لأنه على الرغم، من أن الخدمة إلى الرب يجب أن تقدم وتكون طوعاً لا كرهاً، إلا أننا قرأنا فى الإنجيل عن الضيوف فى عيد الزواج، الذين أمر السيد المسيح بإجبارهم على الدخول ! ونحن نأمركم علاوة على ذلك أيها الإخوان، رئيس الأساقفة والأساقفة أن تأخذوا نفس النسبة ١/٤٠ وتقوموا بجمعها بإخلاص داخل إيرشياتكم بناءاً على الخطة المذكورة عاليه على أن تودع فى مكان آمن، وترسلوا لنا شرحاً وتوضيحاً بذلك فى أسرع وقت ممكن خلال مراسلاتكم ورسلكم .

وبالإضافة إلى هذا نصدر أوامرنا بأن يوضع صندوق مفرغ ومغلق فى كل كنيسة أو يكون له ثلاثة مفاتيح، الأول : يكون تحت مسؤلية الأسقف. والثانى: تحت مسؤلية كاهن الكنيسة. والثالث : يكون تحت مسؤلية بعض العلمانيين الأتقياء. ويجب أن ينصح كل مخلص بأن يضع صدقاته من أجل غفران خطاياه، ويعتمد المقدار الذى يضعه على ما يلهمه السيد المسيح أن يقدمه، ويجب أن يعلن هذا العمل مراراً وتكراراً وبشكل عام كل أسبوع وفى كافة الكنائس من أجل غفران الخطايا والآثام خاصة أولئك الذين قدموا عروضاً؛ كما نسمح لكما أيها الإخوان، رئيس الأساقفة والأساقفة أن تستبدلوا منحة الصدقات من أجل تحقيق التوبة المفروضة على هؤلاء الذين يرغبون أن يتقدموا ويحضروا لمساعدة الأرض المقدسة بأمتعتهم مع تقديم

النصيحة لأولئك الرجال من أصحاب الرأى السديد الذين ينظرون إلى مركز ووضع الإنسان فى الحياة وأن ما يقدمونه هو رمز ومقياس لتقواهم.

وبالإضافة إلى ما تقدم، سوف نقوم بوضع أخوين إلى جانبكم لتعضيدكم، أحدهما من اسبتالية بيت المقدس والآخر من فرسان الداوية، واثنين من العلمانيين الأتقياء، وآخرين من الفرسان من أصحاب الحكم السديد أو بعض الرجال المحاربين الذين حملوا شارة الصليب. ولو لم يستطع الصليبيون توفير ما يلزم للرحلة، فإنه يجب توفير منحاً مناسبة من أجلهم من نفس الأموال بعد تلقى تأكيد منهم أنهم سوف يستمرون فى الدفاع عن الأراضى الشرقية لمدة عام أو أكثر، ويكون هذا بناءًا على مقدار المنحة، وأيضاً لا قدر الله لو أنهم ماتوا فى الطريق لا تتحول المساعدات التى تلقوها إلى استخدامات أخرى، ولكن يجب أن تخصص للمحاربين، أما عند عودتهم فإنه لا يجب أن يعفوا من تأكيد عما صنعوه للرجال المحاربين حتى يظهروا لكم رسائل من الملك أو البطرق أو من رؤساء الاسبتالية فى بيت المقدس وفرسان المعبد أو من مندوبٍ خاص بنا ليعطوكم دليلاً على إقامتهم.

ولأن الموقف الحرج والصالح العام يتطلب من الشعب المسيحى أن يبادر إلى الأرض المقدسة دون تأخير، ويجلبون معهم المساعدات ليس فقط من الموارد المادية بل أيضاً من الأفراد المعادين للوثنيين، فإننا نأمركم ونقودكم بكل ما فى الكتاب من معنى "الخطاب الرسولى" من حث وتشديد وحكمة ووعى للأفراد وذلك بتقديم المساعدات من الرجال المناسبين لتلك المهمة وتشجيع وإقناع المخلصين كيما يتمكن هؤلاء الذين يحاربون من أجل المسيح و حمل الصليب باسم السيد المسيح "*Of Hosts*" بينما تهب البقية الباقية صدقاتهم بإخلاص بسبب أعمالهم، ولاتيأسوا من رحمة الله وقوة

وسلطة الرسـولين المبـاركين بولـس وبطـرس "*Paul and Peter*"، إذ بهـذه القـوة نتحد، ونؤمن بأن الله قد أنعم علينا، رغم أننا لا نستحق ذلك، ثم أننا نمنح ونـهب كـل هؤلاء الذين استسلموا لعناء هذه الرحلة شخصياً وعلى نفقاتهم غفـران كـل خطايـاهم وآثامهم، وهم الذين قد ندموا عليها من قلوبهم وعبروا عنها أيضاً بالكلمـة واللسـان. وللعدالة، فإننا نعدهم بالمكافأة لأعظم اشتراك فى الإنقاذ الداخلى، أما بالنسبة لهـؤلاء الذين لا يشاركون أو يساهموا شخصياً، ويرسلون فقط الرجال المناسبين ليبقوا هنـاك مدة عام على الأقل وعلى نفقاتهم الخاصة بما يتناسب ومستوى معيشـتهم، ويتسـاوى معهم أيضاً هؤلاء الذين يحققون عهد الآخرين فى الحج، وهم الذين ذهبوا علـى نفقـة هؤلاء الآخرين، فنحن نمنحهم غفراناً كاملاً أيضاً لكـل خطايـاهم وآثـامهم، ونتمنـى أن يشارك الجميع فى غفران الخطايا بقدر مساعدتهم وعمق تقواهم فيهبـوا جزءاً مناسباً من دخولهم لمساعدة الأرض المقدسة.

هنا تنتهى الرسالة الأولى ،،

الرسالة الثانية

خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى الملك فيليب الثانى ملك فرنسا فى السابع عشر من نوفمبر عام ١٢٠٧م

فى هذا الخطاب يطلب ويقدم البابا إنوسنت الثالث إلى الملك فيليب الثانى ملك فرنسا وكل أولئك الذين يقاتلون معه ضد الهراطقة فى إقليم الانجودك "فى فرنسا" غفراناً وامتيازات متشابهة مع الجنود الصليبيين الذين وهبوا أنفسهم للأرض المقدسة. وأرسل البابا إنوسنت الثالث إلى جانب هذا الخطاب خطابات عدة إلى المؤمنين فى فرنسا، يحث فيها على وجه الخصوص أصحاب المقام الرفيع. ومنذ ذلك الوقت فإن الحملة الصليبية الألبيجنسية كانت فى حالة إعداد وتدريب. وعلى الرغم من أن البابا إنوسنت الثالث قد أمعن التفكير فى تدعيم قوات ملك فرنسا كمقدمة لواجبه الدينى، لكى يستأصل شأفة الهراطقة كان هذا أكثر من إثارته للعالم المسيحى لخوض غمار حرب. وعلى أية حال، فإن الملك فيليب لم يرفض هذه الدعوة الرسمية. وطلب من البابا ضمانات، إلا أن البابا كان فى وضع لا يسمح له بأن يمنحه هذه الضمانات .

وفى الرابع عشر من يناير عام ١٢٠٨م بينما ــ كان البابا مشغولاً بهذا الأمر ــ تم اغتيال نائبه فى إقليم اللانجودك وهو بطرس كاستيلنو على أيدى جماعة من أتباع الكونت ريموند السادس من تولوز. وقد وصلت الأنباء روما فى شهر فبراير، وكان رد فعل إنوسنت الثالث عبارة عن خطاب أرسله إلى فرنسا مرة ثانية حيث انتقل إلى بطرس باعتباره قديس وشهيد، وهو تبرير تقليدى لاستخدام القوة ضد الهراطقة والمنشقين، وهذا هو سبب التهديد الذى صاغه البابا ضد الأرثوذكس المسيحيين فى عبارة تردد صداها عبر ثلاثين قرناً. حيث أوضحت الرسالة أن معاملتهم هنا أردأ من المسلمين، ثم صيغت ترجمة الخطاب وتم إرساله إلى كل المؤمنين فى كل ممالك الجنوب من فرنسا.

المصدر :

Innocent III, P.L. CCXV, Cols 1246 - 7

نص الرسالة :

إن ضلال الهراطقة. قد أفسد الرجال على مر العصـور، وقـد بـرز ذلـك بشكل جلى فى إقليم تولوز. وقد أعطى ذلك الفرصة للنمـو المستمر، وكـانت منطقـة خصبـة للإنتـاج الهـائل ونشـاط الفسـاد بشـكل دائـم ومتجـدد بيـن هـذه الطائفـة بسـبب بعـض الوسائل القذرة التـى كـانوا يتبعونهـا. وقـد خلفـت هـذه الطائفـة ذريـة تركـت بصمـات الجنون على الآخرين وكان نجاح هؤلاء نجاحاً كريهاً ولفئة مجرمة، وبذلك فإن هؤلاء الرجال فى طريقهم إلى تمجيد دعواهم المزعومة، ويرفضون عقيـدة الإيمـان الحقيقـى ويعتبرون أنفسهم معافون بإدعاءاتهم الزائفـة وغالبـاً مايستمعون إلـى الحقيقـة التـى يبشرون بها وغالباً كان هؤلاء يروجون فى جرأة بين الآخرين خدع زائفـة لمـا كـانوا يدعون له، بينما كان البغاء طافح بينهم، ومن ليلة إلى أخرى كانت تتكشف الحقـائق. كان لدى هؤلاء القدرة بناءًا على كلمات الرسول أن يكونوا فى مظهرهم كالذهب ولكن فى أعماقهم كانوا ينكرون قوة الرب. وكـانوا يجذبـون بكلمـات معسـولة وتحـت سـتار الدين أولئك الذين يقبلون الانضمام إليهم، ومن بين أولئـك الذيـن لا يدركـون الحقيقـة من الناس فيتحدون معهم ويزجوا بأنفسهم فى أساليبهم الشريرة، وأن إمرأة، كما جاء فى كتاب الحكمة كانت معهم فتصفهم عندما كانت ترتـدى ملابـس البغـاء، فتقـول أنهـا نسجت سريرها " أننى نسجت سريرى، وغطيته بنسيج ملون". وأن الهراطقة فى الواقـع، قـد وعدوا مستمعيهم فى أسلوب مفيد عندما ينسحبوا خيوط الكلمات السـماوية فـى إطـار بلاغى، أنهم سوف يعدون لهم مخدعاً بعيداً عن الاضطرابـات وبقلـوب صافيـة. ولكـن فى الحقيقة أنهم يعدون لهم مكاناً فى الجحيم بخيوط من الآثام. وإذا رجعنا إلى ما قاله النبى : فإن أبناء السامرى، قـد عبـدوا عشـيرة بيـت آفـن *"Beth-Aven"* وبالنسـبة لتمـرد الهراطقة عندما يطالبون بالحيـاة فـى السـامرة ، تحـت حمايـة وأوامـر الـرب :

إنهم لايفهمون قانون الرب، بل يهاجموه. ومغذى ذلك هو التعاليم الخليعة المختلفة والمتعددة فى البدع والآثام. ولكن الآن أو فى المستقبل فإنهم سيقاسون بما يطالبون به من العقاب بسبب شرورهم وظلمهم. وسوف يتباكي الناس عليهم ويندبون حظهم، وبسبب إخلاص السيد، طبقاً لكلمات النبى، سوف يحترق منزل الصيف أكثر من منزل الشتاء وسوف تفنى وتهلك منازل العاج، وبالضرورة يصح ذلك لأن السيد سيفنى ذكراهم فى دوى هائل، وسوف يحرق ويبعثر أولئك الذين يشعلون نار الفسوق والعصيان، ويكرسون أنفسهم لغرائزهم البشرية، والذين يضعفون غرائزهم بينما هؤلاء الذين يضعفون أجسادهم بالامتناع عن ممارسة الرذائل فإنه من أجل وضع أنفسهم بين أهل التقوى والورع. ومن بينهم أيضاً أولئك الذين يصقلون أسلوب حديثهم بالكذب ليخدعوا ويضللوا البسطاء من الناس. ولكن من خلال بعض الحالات ومن خلال بعض الوسائل يمكننا أن نكرس أنفسنا فى مقاومة هؤلاء الرجال من ذوى سوء الخلق الذين يعيشون فى مملكتكم، الذين يحتشدون هناك ويجتمعون فى محاولات باطلة ليطيحوا بالعقيدة المسيحية. ولم يكن ينقص من أشكالهم أساليبهم الخادعة "أو بمعنى آخر لم ينقص من قيمتهم أتباعهم أساليب الغش والخداع" حتى أنهم كانوا لا يكفون عن فهم زائف لا من أجل أن يلفتوا الانتباه إلى مناظرات وضعت من قبلهم، ولا من أجل كونهم يثيروا الرعب بتهديداتهم، ولا تملقهم يؤدى إلى تخفيف حدتهم.

وهكذا ومنذ ذلك، لم يستطيعوا أنفسهم أن يستجيبوا للاستشفاء أو تضميد الجراح التى طغيت بحد السيف . أما فيما يتعلق بإصلاح المجلس الكنسى "الإكليركى" أمكن قمعه عن طريق ساعد القوة العلمانية. وأننا لنعتبر أنه من الواجب علينا أن نطلب مساعدتكم، تعبيراً عن حب الابن، لندافع عن الظلم الواقع على يسوع المسيح ولنلقى القبض على الثعالب القلائل، والذين دائماً تزداد نفوذهم التى تحطم حقل نشاط ضيوف الرب "ضيوف الرب الكرام".

نحن نحث جلالكم الملكى بكل عناية ونشجعكم من أجل السيد ونأمركم من أجل غفران الذنوب لتزداد قوتكم العسكرية قوة وتستأصل قوتكم تلك الطائفة، بعد أن توجه إليهم ضربات قوية، تنزل بهم إلى أعماق الأرض فلا تخرج من الأرض إلا شجيرات وليست عنباً. يمكنكم أن تتخلصوا من الكثير من الضرر والقذارة من أجل نقاء عقيدتكم، ويمكنكم أن تجعلوا من الأمير الكاثوليكى نموذجاً عن طريق عملكم الملهم وأفعالكم القوية، وأيضاً لكى نجعل بفضل قوتكم من أنصار الهراطقة شىء بال ورث أن نجعل من معاناة الحرب شيئاً وسطاً نعيد به إلى الذاكرة على الأقل معرفة الحقيقة. وبكل ما تحمل الكلمة من معنى، فإن السيد إلهكم الخيّر، قد أوقف عنكم الاضطرابات فى مملكتكم ومنحكم القوة ويفرض عليهم السلام ويعيد السكينة والهدوء إلى أرضكم، وعلى هذا فهو يدعوكم لتصيروا أكثر قوة لتقاتل أعدائه وأعداء الكنيسة.

فى الواقع نحن نأخذ أرضكم ورجالكم وممتلكاتكم باسم الحماية والدفاع لبطرس المبارك، وأيضاً من أجلنا، ولكى نستطيع أن نطوق إلى تلك الأشياء بدرجة كبيرة لا تجعلك تقبل التردد. ولو أن أى إنسان لا نثق فيه شرير يتجرأ عليكم أو اتباعكم، سوف نحرص على معاقبته ونوقع أشد الضرر باسم قانون العيب "*Canoncial censure*" والذى سوف نوجه إليه ضربة قوية جداً من أجل الكرسى البابوى "الرسولى"؛ وبالإضافة إلى ذلك، نحن نأمل أن تصادر كل ممتلكات هؤلاء الهراطقة ونجعلها ملكاً عاماً، وغفران الذنوب الذى نعتبره على صواب ونخوله لأولئك الذين يعملون فى خدمة الأرض المقدسة، سنجعله صالح لكم. على أية حال، أنت تكدح من أجلك "من أجل شخصكم"، أو تقدم نفسك لمساعدة ضرورية، أو من أجل الرجال الذين يقطنون أرضكم الذين يقودون جيوشاً لاستردادها واسترجاعها من الخونة. ولكننا نأمل لكم ولهم أن تضعوا نصب أعينكم عوز وفاقة الأرض المقدسة، لأنه لم تعد هناك أية مساعدات يمكن أن تصل إلى هناك.

هنا تنتهى الرسالة الثانية ،،

الرسالة الثالثة

رسالة البابا إنوسنت الثالث إلى ليوبولد السادس دوق ستوريا يدعوه إلى أن يشارك فى حمل الصليب إكراماً للرب

* حررت الرسالة فى ٢٤ فبراير عام ١٢٠٨م

المصدر :

Innocent III, P.L Ccxv, Cols. 1339-41.

نص الرسالة :

إنه من خلال خبرتنا وتجربتنا نعلم أنكم لم تستمعوا ولم تبالوا بالكلمات التى جاءت فى الإنجيل إلى هؤلاء الذين اتبعوا الرب والذين يتمتعون بالتقوى والورع. ولكى تكافئ السيد المسيح على كل ما قدمه لك من أشياء فيجب أن تُخضع نفسك إلى التضرع والتذلل لتتمثل بالمسيح الذى وهب نفسه من أجلك حتى الموت، ويكون الموت من أجل الصليب. ويجب من أجل حبه لك أن تتخلى وتترك حبك لزوجتك وأطفالك الأحباء ووطنك المبهر وأقربائك الأعزاء وثرائكم الفاحش، وعالمكم الذى تبجله، حتى تبرأ فى النهاية من آثامك.

وأيضاً تتحرر من شهوة جسدك. إن كل ما نتمناه لك هو أن نسمع أنك بادرت بحمل الصليب "صليبكم" وأعددت نفسك وبادرت بحماس ولهفة شديدين فى السير والسعى إلى المكان الذى فيه خلاصك حيث تمسك بالصليب، خاصة وأن اتجاهك وتوجهك إلى هذا المكان ومعك صليبك المظفر إنما هى محاولات من قبلك ضد الغدر والخونة من الرجال، هؤلاء الذين نرى ضرورة معاقبتهم وذلك بصلبهم أو صلب زعيمهم؛ هؤلاء الخارجين على العقيدة والمعارضين للصليب، إن حملك

الصليب بعزم وتصميم إنما يجعلك من أهل التقوى والورع لمقاومة هؤلاء المعارضين وسوف تنالوا مكافأة المسيح على ذلك عن طريق رجوعكم وعودتكم إلى المسيح، الذى حفر الصليب فى جسده بسبب وهنكم ومعاناتكم. إن هذا التحول إنما هو مظهر إيمانكم وتقواكم العظيمة والتى لم تكن مطمئنة تماماً، لأن جانباً من مظاهر النعمة الظاهرية عليكم يجب أن يحملها الخادم المخلص من أجل مخلصنا السيد المسيح، وأن شارة صليبكم تمثل مظهر العدالة فى صورة صلب المسيح المعرضة للسخرية.

وعلى الرغم من هذا، فإن عظمة الصليب على هذا النحو إنما هى فى الصليب ذاته، فالصليب بالنسبة لك والسيد المسيح لم تكن واحدة بل وغير متكافئة، فهى بالنسبة لك تعنى صليب الأمان والسكون، وأنك تحمل شيئاً سطحياً على ملابسك ولكن المسيح تحملها فى الحقيقة بأن حفر فى جسده. إنك تراه مرسوماً أو محاكاً من الحرير، بينما ثبت الصليب بقوة بمسامير من حديد. ولهذا فإنه مهما أبديت استعدادك وعرضت نفسك لاختيارات وامتحانات عظيمة وشديدة وقاسية، فإن أملنا هو أن تُخلد مكافأتك. إن معاناة من هذا النوع لم تكن جديرة بالاحترام إذا ما أُقترنت بالعظمة والهالة والمجد ويستمد من الإلهام الذى سوف يقدم إليك عندما يثق الإنسان فى صدقكم وورعكم وإخلاصكم وعندما يضع الإنسان فى اعتباره أن الأكثر إلحاحاً وحاجة هى الأرض المقدسة.

نحن نثق فى عزمكم وتصميمكم تجاه السيد المسيح، كما أننا نشجع نبالتكم ونثيرها بشكل وعناية كبيرة باسم السيد يسوع المسيح نفسه، كيما تذهبوا وتقدموا المساعدة لتلك الأرض فى انسجام وتواؤم مع إلهاكم العظيم، والذى يعرفه ويعرف كيف يسكب عليكم رحمته.

يجب أن تمد نفسك بالثقة والأمان والتدبر عن طريق خدمة السماء. وليس عليك معرفة ما سيحدث غداً. وبهذه الوسيلة يمكنك أن تناضل وتكافح من أجل الرب. وبفضل مساعدتكم ومباشرتكم ستكون الحماسة من أجل الدفاع عن الأرض المقدسة قوية جداً. وليكن معلوماً لديكم أننا فى حاجة ماسة إلى مساعدتكم ومساعدة الآخرين من المؤمنين. إن تقدمكم على هذا النحو لهو ضرورة ملحة. إننا نأمل ونتعشم أن تكون النتيجة قد وضحت وتجلت أمامكم، وفى تناغم مع هذا النوع من الورع والتقوى، وحتى يظهر الرب للعيان وليشارك معكم ويثير ويحرك هذا المشروع من أجل تحقيق الغاية. وحتى لا تبدو أنت وتظهر دون جدوى، عليك أن تترك هذا العالم من أجل كل هذا المجد الذى وضحناه لك. كما أنك تعرف أن هذا المشروع من جهة أخرى سوف يجعلك مجل فى هذا العالم. إن رسالتنا إليك أيضاً إنما باعتبارك شئ مهم وأساسى لشارة صليب الحياة، وليقلده إياك ابننا المحبوب نيقولاس، رئيس دير بيت القديس يوحنا قائد الكاثاريين "*Carthusian*"، ومع هذه الرسالة نبعث إليكم غفراناً كاملاً، الغفران الكنسى.

هنا تنتهى الرسالة الثالثة ..

الرسالة الرابعة

خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى المؤمنين فى مقاطعات ناربون وآرلس آمبرون، وآكس وفينى فى العاشر من مارس عام ١٢٠٨م

المصدر :

eter of Vaux-de-Cernay, Historia Albigensis, ed.P.Gubuin and E.Lyon,Paris,1926,I,pp.52-62.

نص الرسالة :

لقد سمعنا عن عمل شرير للغاية، يثير فى النفس الحزن والكآبة فى كل أرجاء الكنيسة.

ومن أجل ذلك أرسلنا أخاناً صاحب الذكرى المقدسة بطرس كاستلنا الراهب والأسقف، وهو رجل يتمتع بمكانة رفيعة بين الرجال الأفاضل بسبب حياته العلمية وسمعته الطيبة.

أرسلناه مع آخرين ليبشروا ويدعوا إلى السلام ولنشر الإيمان فى الإقليم. لقد أحدث تقدماً، ولازال يحدث تقدماً فى "منصبه" والمهام التى كلف بها. وفى الحقيقة كان "بطرس" رجلاً ذا مكانة وعلم ذاخر فى مدرسة المسيح، حيث تعلم فيها قدر استطاعته قد استطاع احتواء هذه الكلمة المؤمنة، التى هى بالنسبة إلى المذهب تمثل صوته، وتنتقض هؤلاء الذين انتقضوهم، فهو دائماً على استعداد أن يعطى إجابة مقنعة لمن يسألونه، وفى كلمات أخرى كان رجلاً على العقيدة الكاثوليكية وصاحب خبرة فى البلاغة والقانون ولكن الشيطان قد أثار أتباعه ضده "خادمه كونت تولوز".

الذى كان دائماً يوجه اللوم ضد الكنيسة والرب. وكان بذلك أشبه برجل محتال مخادع ومراوغ، حيث كان دائماً يعفى من أى شئ بسبب سمعته المزيفة.

ولكن الكونت لم يستطع أن يحتوى الكراهية التى اعتقد فيها ضد بطرس، ذلك لأن الكلمة التى كانت فى فم بطرس هى كلمة الرب المطلقة " والتى عن طريقها يتم الانتقام من كل الأمم ومعاقبة الناس، إذ أنه يكرهه هو وشعبه "أتباعه" أشد الكراهية، ذلك لأنه استحق أن يزجر وينهر بسبب جرائمه المتعددة. وقد استدعى "رسل الكرسى البابوى" إلى مدينة سان جيل "*St.Gilles*" ووعد بأن يمنح تضحية كاملة تكفيراً عن خطاياه التى ارتكبها فى كل الأمورالتى أتهم فيها. وفى اللحظة التى وعد فيها الكونت بمثل هذا الصدق، وجهت إليه التهمة.

وهؤلاء الذين احتشدوا فى المدينة التى سوف يتبع فيها النصيحة المفيدة. التى تقدم إليه، غير أنه فى اللحظة التالية قد رفض تماماً كرجل مخادع وقاس كى يحملها إلى الخارج، وقد هدد علناً "جهراً" بالموت كل أولئك الذين يرغبون فى النهاية مغادرة المدينة، قائلاً: "أنه سوف يتابع عن كثب ويترقب هؤلاء أينما يذهبون براً أو بحراً"، وقد وضع فى الحال كلماته موضع التنفيذ، وقد أرسل شركائه فى الجريمة لعمل كمين بعناية. ولكن لم تعد صلاة إيننا المحبوب رئيس دير سان جيل ولا الوكلاء والنواب قادرة على إيقاف ثورته العارمة. لقد كان هؤلاء أنفسهم ضد رغبة الكونت، وبشكل كبير ضد إرضاءه، لقد قادوا المبعوثين (رسل الكرسى البابوى) إلى الخارج مع قوات صغيرة فى "حماية " إلى مكان قريب من شاطىء نهر الرون وقد عسكروا هناك عند حلول المساء.

لقد كان هؤلاء على غير يقين ومعرفة بالعديد من حاشية ذلك الكونت عندما كانوا يسعون لقتلهم، بينما صار واضحاً الغرض من هذا. وعلى هذا، فإنه فى اليوم التالى، عندما تكشف الصباح وتلى القداس كالمعتاد واستعد فرسان المسيح الأبرياء لعبور النهر فإن واحداً من هؤلاء الحاشية يدعى ساتان قد رمى

بطرس برمح فجرح بين أضلاعه من الخلف ووجد مثبتاً بقوة فوق صخرة المسيح، ولم يكن مهيأً لمثل هذه الخيانة العظمى، والتفت إلى الوراء بنظرة ملؤها الحب إلى ذلك الرجل الشرير الذى طعنه، فكان أشبه باستيفن المبارك الذى هو مثلاً لسيده المسيح، وقال له. "ربما يسامحك الله لأننى سامحتك" وأخذ يردد هذه العبارة مرات ومرات، هذه العبارة المليئة بالحب، والصبر، وعندئذ وبنفس الطريقة، نسى آلام الجرح الذى سببه الرمح، وقد تحمل آلام الجرح آملاً فى الرحمة الإلهية، والآن قد جاءت ساعة الموت المبارك لوفاته المباركة، فهو لم يتوقف مع شركائه عن ترتيب شئون إدارته التى أرست قواعد الإيمان والسلام.

وبعد العديد من الصلوات عليه، نام نومته الأخيرة فى سلام مع المسيح. وبالتأكيد، فلأنه قد ظرف ماءه من أجل الإيمان والسلام، فإنه لم تعد هناك قضايا تستحق التقدير من أجل الاستشهاد أكثر من هذين الشيئين.

وحسب اعتقادنا بأنه سوف يعطى الرب الأناشيد الخارقة التى لها بريق خاص، ولم يخالج هؤلاء الرجال أدنى شك فى عدم التصدى لها.

وقد قرأنا عن نوع من نفس هذا النمط من الناس فى الإنجيل على أنهم، كما قيل أن السيد المسيح لم يقوم ببعض المعجزات هناك بسبب عدم إيمانهم. ولأنه على الرغم من أن الألسنة قد تعطى بعض الإشارات ليس للمؤمنين ولكن لغير المؤمنين، عندما كان مخلصنا قد حضر أمام هيرود، والذى طبقاً لإنجيل لوقا، كان سعيداً جداً أن يراه، لأنه كان يأمل فى أن يرى بعض الإشارات التى قام بها بنفسه، وقد رفض أن يقوم بتقديم أى علامة أو يرد أى إجابة عندما يسأله هيرود، ومن المعروف أنه لم يكن هناك تأثير على الإيمان "العقيدة " فى تقديم مثل هذه العلامات، وأن هيرود كان يرغب فى سعادة تافهة من هذا المشهد، ولكن على الرغم من أن هذا الجيل الفاسد الضال، لا يستحق أن يتلقى أى إشارة تتعلق بشهيدهم

التى ربما ستكون ذاتها، فإننا نؤمن بأنها الوسيلة المناسبة لها، لأنه يوجد الرجل الذى يموت من أجلها، حتى لا يفنى الجميع إن هذا الجيل قد أفسدته العدوى من هؤلاء الضالون الفاسقون، والتى سوف يخلصها من آثامها ويناديها دماء ذلك الرجل المذبوح وأن هذه هى أفضل وسيلة تتشفع لها أكثر من أى إنسان على وجه الأرض.

ومن أجل هذا فإن أقدم نصيحة للسيد المسيح، تظهر براعته الفائقة كمخلصنا، أنه فى كل لحظة عندما يظهر لأتباعه منهزماً، فإنه يحقق نصراً فى هذه المعركة بشكل لم يسبق له مثيل، وبنفس القوة فإنه بنفسه قد هزم الموت وتغلب عليه بنفس كأس الموت، أنه سوف يسبب لكل أولئك الذين قهروا خدامه أن ينهزموا عن طريق أولئك الرجال الذين هزموا من قبل، لأنه إذا لم تسقط حبة القمح فى الأرض الجدباء، فإنها تبقى وتظل وحيدة، ولكن إذا ماتت، فإنها تثمر فاكهة كثيرة، إن هذا يجعلنا نأمل أن تكون هناك فاكهة كثيرة سوف تُقدم إلى كنيسة السيد المسيح بالرغم من موت معظم هذه الحبوب الصالحة. ومنذ ذلك الحين سيكون رجلاً ملاماً بشدة، وأكثر إيلاماً ذلك الذى لم يغمد فى روحه هذا السيف. ولم نكن جميعاً بلا أمل لانتهاك دمه، إذ يجب أن نحصر نفس الميزة العظيمة، كما فعل فى بداية تبشيره الدينى، وذلك فى مقاطعة بروفانس من قبل، ومن أجل المصلحة التى نزل بها بنفسه إلى ذلك القبح والفساد .... يا إلهى العظيم، الأمانى والرغبات تزداد، نحن نعتبر أن إخواننا المبجلين رؤساء أساقفة ناربون، آرلس، وامبرون، وآكس، وفينى ومساعديهم، يجب عليهم أن يقدموا نصائحهم بعناية وشجاعة، ونحن نأمرهم الآن، عن طريق الروح القدس وتحت امتثال وعناية دقيقة، لتتم كلمات السلام والإيمان بيد بطرس ليأخذ الجزع بيد مبشريهم العقلاء، ويجب عليهم بغريزتهم

وحماستهم أن يهاجموا فساد الهراطقة ويثبتوا دعـائم العقيـدة الكاثوليكيـة، وعليهـم أن يقتلعوا جذور الشر الرذائل، كما يجب عليهم أيضاً من أجل مصلحة الرب الرحيم وبطرس المبارك وأيضاً بولس وحوارييه وعلينا أنفسنا أن نشجب ونعلـن رسـمياً عـن طريق كل إبرشياتهم مقاطعة "قرار بالحرمان" ونلعن ذلك المجرم قاتل خادم الرب.

إن كل هؤلاء الناس وبفضل مساعدة تلـك الأعمـال، إن النصيحـة أوالعمـل الذى ارتكبه، كان جريمة بشعة، وأيضاً هؤلاء الذين قاموا بالحمايـة والدفـاع عنـه، وبنص هذا الخطاب كان دليلاً على أنهـم يكذبـون باسـم الديـن وسـيدمر "يحـرم" كـل مكان تماماً ينتمى إليـه هـؤلاء، أو أى مكـان آخـر يقدمـون منـه، وتجـدد مثـل هـذه الأحكام الدينية دائماً فى مثل هذا النوع كل يوم أحد وكل يوم عيد عند دق الأجـراس وإضـاءة الشـموع. وحتـى أولئـك الرجـال الذيـن يقـتربون مـن الكرسـى البـابوى ويستحقون الحصول على النجاة "الخلاص" عن طريق تبريرات أكيدة.

ومن جهة أخرى فإنه يجب علـى الأسـاقفة أن يعدوا بغفـران كـل ذنوبهـم، التى يمنحها الرب ونائبـه لهـؤلاء الذيـن تحرقـوا شـوقاً وحماسـاً مـن أجـل المذهـب الأرثوذكسى، وأعدوا أنفسهم للعمل ضد هذا النوع من الناس الخطرة "الخبثاء".

هؤلاء الذين هاجموا معاً كل مـن السـلام والواقـع الحقيقـى، ليـبرروا دمـاء العدالة التى تصرخ مستغيثة بشكل متواصل من الأرض إلى السماء، حتى أن السـيد أرسل انتقامه على الأرض ليلعن ويدمر هؤلاء المفسدين. وتسـامح مـن هـذا النـوع سوف يعنى أن غفراناً قد تحقق لكل ما قام به هـؤلاء المؤمنيـن، وكذلـك كـل أولئـك الآثمين المفعمين بالندم الذين يقدمون قلبوهم ويعترفون شفاهة إلى الرب. وهذا النـوع من الرجال يحاولون ليس فقط نهب وتخريب ممتلكاتنا ولكن إبادتنا نحن أيضاً.

وهؤلاء لا يحذون "يسنون" أسنتهم ليلتهموا أرواحنـا فقـط، ولكـن أيضـاً فـى الحقيقـة يشمرون عـن سـواعدهم لكـى يقتلـوا أجسـادنا، إن المفسـدين لأرواحنـا أصبحوا أيضاً مدمروا ومحطموا أجسادنا.

ومنذ أن ضرب هذا الكونت بـالفعل بسيف الحرمـان الحـاد بسـبب ارتكابـه العديد من الجرائم التى دونت منذ فترة فى قائمة الواحدة تلو الأخرى، إلا أنـه تجـرأ على الذنب بسبب وفاة رجل مقدس، كان دليلاً موثوقاً به، ولـم يهـدد بقتلـه علانيـة فقط، وإعداد كمين لـه، ولكـن أيضـاً، كمـا يقـال، أن اسـتقبل القـاتل بـدفء وحنـان عظيمين وكافأه بهدايا ثمينة قيمة، وسوف نتغاضى عن الأشياء الأخرى الذى زعـم أنه قام بها حول تلك التى أبلغونا بها الأساقفة بصورة أكـثر ممـا تحمـل الكلمـة مـن معنى، ونتيجة لهذا السبب فإن نفس رؤسـاء الأسـاقفة والأسـاقفة يجـب أن يعلنـوا على الملأ أن هذا الرجـل ملعون مـن قبـل الكنيسـة ومذنـب طبقـاً لقوانيـن وقواعـد الكنيسة المتعلقة بعقيدة الآباء المقدسة التى يجب ألا تحفظ مع رجل لا يحـافظ علـى الإيمان والعقيدة مع الرب، وبعد أن قطع وحرم مـن الاشـتراك مـع المؤمنيـن، مثلـه مثـل رجـل يجـب تجنبـه ولا يجـب احتضانـة أو تربيتـه، وأنـهـم مـن واقـع السـلطة الرسولية يجب أن يعلنوا كل هذه الروابط بالإيمان والعهود المخلصة، أو الاتحاد أو أى مواثيق من هذا النوع له.

ويجب عليهم أيضاً أن يعلنوا أنه يجب على كـل الرجـال المـترابطون بهـذه الوسائل أن يبرأوا من أيمانهم "حلفهم" من أجـل الوقـت الـذى فيـه سُـمح لأى رجـل كاثوليكى، أن ينقذ حقوق الرب، ليس فقط لكى يطارد شخصية الكونت، ولكن أيضـاً لكى يسيطر ويستولى على أرضه، خاصة تلك الأرض التى تسـتحق نشـاطهم فيهـا. الأرض التى يمكن أن تطهر من الهراطقة.

وحتى الآن، لازالت شروره وآثامه قائمة، وأصبح من حق كل إنسان أن يرفع يده ضد هذا الرجل الذى امتدت يده ورفعها على كل إنسان.

وإذا لم يعد هذا الرجل إلى صوابه بنفس هذه الطريقة المخذية، سوف نجعل شغلنا الشاغل، هو أن نأخذ مواقف معادية ضده، وعندما يعد بأنه سوف يصلح نفسه تماماً، فعليه أن يقدم دلالات أكيدة تثبت ندمه وتوبته.

وعندئذ، عليه أن ينفصل عن أتباع الضلال والفساد على نحو تام، حتى يتمكن من القيام بكل جهد يروض نفسه فى السلام مع إخوته، ومنذ أن خضع لتقريع وتوبيخ مجلس الأكليروس بصفة خاصة، بسبب الإساءات والإهانات التى اقترفها فى التهم الموجهة إليه، وعلى الرغم من ذلك فإن الرب كان يرغب فى أن يوضح جرائمه، وأنه نادراً ما يكون قادراً على أن يقوم باعتراف مناسب، ليس فقط من أجل مصلحته الخاصة، ولكن أيضاً من أجل مصلحة جمع غفير من العامة من الناس الذين أدخلهم فى شباك جهنم.

وبالنسبة للعدالة الحقيقية ، فإنه يجب ألا نخشى هؤلاء الذين يقتلون الجسد، ولكن نخاف منه هو إذ يستطيع أن يرسل الروح والجسد إلى جهنم.

نحن نثق ونأمل فيه ذلك الذى مات ثم نهض فى اليوم الثالث لكى يأخذ الرهبة من الموت من أولئك الذين يؤمنون به.

ونحن نأمل، ليس فقط أن موت ذلك الرجل الرب يفشل فى تحطيم الخوف فى قلوب أخانا المبجل الأسقف كوزيرانس "*Couserans*" وابننا الحبيب كيتوكس "*Citeaux*" نائبا الكرسى الرسولى، والأتباع الآخرين للمذهب والعقيدة الأرثوذكسية، ولكنها أيضاً سوف تثير حماستهم بكل ذلك الحب، وبإتباع مُثله التى

سوف تستميل حياته السرمدية فى نعيم من أجلنا وذلك بموته الدنيوى، وسوف لا يخشون أن يضحوا بحياتهم من أجل السيد المسيح، لو كان هناك حاجة إلى ذلك الصراع المتألق جداً، فإنه يجب علينا أن ندعو إلى اجتماع لنفس رؤساء الأساقفة، وذلك لتقديم النصيحة لهم.

وتعذر صلاتنا بالأوامر وتعذر أوامرنا بالصلاة، لكى نحاول أن نقدم صوت التحذيرات والتنبهات وأوامر ممثلوا الكرسى الرسولى أنفسهم ونساعدهم كشركاء أقوياء فى الحرب وفى كل شئ يعتقدون أنه يجب انضمامه إليهم فى هذا الأمر، وليكن معروفاً، أننا سوف نأمر بعقوبة هؤلاء أنفسهم، ليس فقط ضد حركات التمرد، ولكن أيضاً ضد هؤلاء المتخاذلين لكى يعيدوا ثباتهم دونما إخفاق.

وهكذا، لتكونوا على استعداد يا فرسان المسيح ولتعدوا العدة يـ جال ويا جنود المسيحية، فلربما يحرككم أنين كل كنيسة مقدسة، ولربما تضئ لكم نار العبادة، لكى تبرروا مثل هذا الضرر المزعج لربكم.

ولتذكروا أن ربكم وخالقكم لم يكن فى حاجة إليكم عندما خلقكم، ولم يكن فى حاجة إلى خدماتكم، ولم يصبيه أبداً مكروه، كما أن قدرته الكلية لم تكن فى حاجة إلى الإذعان فى عمل ما تريده إرادته فى مثل هذا العمل، فلربما يمنحكم فرصة ملائمة فى عمل معتدل فى مثل هذه الأزمة.

ومنذ ذلك الحين، والكنيسة فى هذا الإقليم تعيش فى حزن وألم، ولم يكن هناك أحد يخلصها ويريحها بعد وفاة هذا الرجل العادل، ويقال أن الإيمان قد اختفى، وأن السلام قد مات.

وأن وباء الهراطقة حمق وحقد الأعداء قد نمى واستفحل خطره وزاد قوة فوق قوته، وإذا لم تقوى وتجد الكنيسة من يساندها ضد مثل هذا الهجوم الجديد، فإن سفينة الكنيسة سوف تبدو محطمة في ذلك المكان تقريباً بشكل تام، ونحن ننصحكم جميعاً ونكون أكثر إلحاحاً ونشجعكم بحماس شديد لأنه في مثل هذه الكارثة العظيمة تكون هناك الحاجة فى أن نلحق بكم دون تردد باسم قوة المسيح، الذى يمنحكم الغفران على كل خطاياكم وآثامكم، والذى لم يتوانى أن يبذل أى جهد فى قتال كل هؤلاء الشياطين، ويجعلها شغلكم الشاغل لكى يحل السلام فى هؤلاء القوم باسمه(هو إله السلام والحب).

فيجب عليك أن تحاول بكل الوسائل التى أظهرها الله لك لكى تذيل غدر وخيانة الهراطقة وأتباعها وذلك بمهاجمة الهراطقة.

هنا تنتهى الرسالة الرابعة ،،

الرسالة الخامسة

رئيس دير الرهبان مارتان الباريزى "Martin of Pairis"
يبشر بالحملة الصليبية إلى الأرض المقدسة فى سبتمبرعام ١٢٠١م
دون التقرير فى ١٢٠٧م (أغسطس) ـ يوليو (١٢٠٨)

المصدر:

Gunther of Pairis"historia Constantinopolitana ed. p. Riant (Geneva,1877) pp. 62 - 4

نص الرسالة:

أيها السادة إستمعوا إلى كلماتى، والتى لم تكن فى الحقيقة إلا كلمات السيد يسوع المسيح نفسه الذى هو صاحب هذه الكلمات. وما أنا إلا الوسيلة الضعيفة

فالمسيح هو الذى يتكلم إليكم اليوم بكلماته من خلال فاهى ويشكو لكم من الخسائر التى وقعت عليه، فقد طرد المسيح خارج مكانه المقدس، ومن مقعده فى السلطة حيث ألقى به خارج هذه المدينة التى خصها لنفسه بدمه، يالها من خسارة؟!

إن المكان الذى وعد به الرسل المقدسين منذ القدم هو ذلك المكان الذى سوف يأتى إليه ابن الله بجسده، والذى فيه ولد، وأراد الله أن يكون فيه طفلا فى المعبد إلى أن اشتد عوده وعلَم كثيراً حيث ظهرت قدرته ومعجزاته ونظم العشاء الربانى من الجسم والدم المقدس المعظم مع تلاميذه. ثم عانى ومات ودفن، ثم نهض مرة ثانية، وبعد ثلاثة أيام صعد إلى السماء.

وفى اليوم العاشر أنزل روحه المقدسه عليهم فى ألسنة من النيران ؟ واليوم يحكم هذا المكان أمة متوحشة! ياله من بؤس! وياله من سبب للشكوى! يالها من فاجعة. هذه الأرض المقدسة التى باركها السيد المسيح بخطاه وعالج فيها

المرضى وأعطى ومنح البصر للأعمى وطهر المجذومين وأحيا الموتى! نفس الأرض المقدسة كما أقول قد سقطت فى أيدى رجال أشرار فحطموا الكنائس ودنسوا المعابد ووقع عرش المملكة وسلطتها فى أيدى الوثنيين، تلك الخشبة المقدسة الموقرة التى يتكون منها الصليب وتقع فى دم المسيح.

قد أخفاه هؤلاء الناس الذين يعتبرون رسالة الصليب بالنسبة لهم حماقة، وأنه تقريباً كل رجالنا الذين اعتادوا على العيش فى هذه الإمبراطورية المسيحية إما قتلهم سيف العدو أو اضطروا إلى الاستسلام للأسر الطويل، وتمكن القليل منهم من الهرب من هذه الكارثة التى حلت ونزلت بعكا "*Acre*" أو الأماكن الآمنة الأخرى، وهم هناك يعانون من الهجمات المتكررة من البربر ؟

تلك هى الحاجة الملحة للسيد المسيح الذى ندعوه من أجل أن يدعوكم اليوم من خلال صوتى وأساليبه، كما أنه يبادر المحاربين الأقوياء لمساعدة المسيح اليوم ليسجلوا أسماءهم إلى جانب فرسان المسيح، فبادروا لكى تلحقوا بأنفسكم معاً إلى جانب رفاقكم للنجاح الأكيد وأطرح إليكم اليوم قضية المسيح، وفى أيديكم ذلك، ولذلك أنقل إليكم كلمات المسيح لكى تجاهدوا لاستعادته إلى ميراثه الذى طرد منه عنوة وبقسوة .

وكى تخيفوا أنفسكم بالشرور والفضيحة التى ابتلت بها شعوبنا بسبب جيوش الوثنيين، أريد منكم أن تستدعوا وتتذكروا الأحداث القريبة، تذكروا الزمن والوقت عندما قامت البعثة المشهورة بقيادة الأمير النبيل "*Godfrey*" والأمراء الآخرين من الفرنسين والألمان، عندما قام هؤلاء الناس الجاحدين كما يفعلون الآن بقتل وأسر كل المسيحيين واحتلوا الأرض المقدسة وصيدا وصور وأنطاكية ذاتها، ومدناً أخرى محصنة، والأكثر من هذا عرش مملكة بيت المقدس. ورغم الصراع

الإسلامى (١) الذى استولى على العرش العظيم بالقوة ومعظم الأرض، غير أن عكا وأنطاكية لازالت لنا. ولا زلنا نتمسك بمدن أخرى قوية وحصينة والتى دافع عنها المحاربون الأجلاء. والشكر والفضل لقواتنا والله المقدس، ويمكن بذلك استرداد العرش الشهير فى بيت المقدس إلى جانب مدن أخرى.

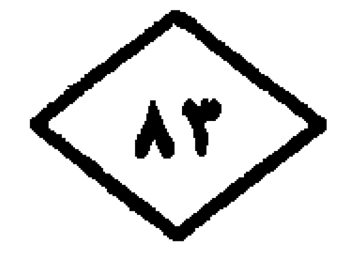
ولكن إذا كنتم تتساءلون عما تأملونه كمكافأة يقينية على هذا العمل العظيم، فإنى أعدكم بالتأكيد بأن أى شخص يتخذ شارة الصليب ويقوم باعتراف مقبول وجيد، سوف نغفر له خطاياه تماماً، وفى أى مكان وأى زمان، مهما كانت الأحوال لم يترك فيها أحد موقعه، سوف يفوز بحياة خالدة، وسوف أعلن عن حقيقة تلك الأرض التى تستعدون من أجلها، فهى أغنى بكثير من تلك الأرض التى تعيشون عليها، كما أنها أكثر خصوبة منها أيضاً.

وسوف يجد الإنسان منكم مياهاً متوفرة تعين على الحياة بشكل أفضل من هذه الحياة هنا، حتى الأشياء الدنيوية فهى أكثر مما تعيشون وتحيون فيها هنا.

والآن عليكم أن تلاحظوا يا إخوانى العهد والميثاق بهذه الروح والتى تتضمن وعداً أكيداً بمملكة السماء وأملاً عظيماً فى الازدهار الدنيوى.

وأننى لأضع وأغمس نفسى لأكون رفيقاً فى هذه الرحلة، وهذا العناء. وأتمنى أن أشارك أوقاتاً طيبة وأوقاتاً عصيبة معكم طالما نسعد بالرب. ولذلك يا إخوانى، اتخذوا شارة الصليب المنتصرة بعقول مستنيرة لتنالوا القوة وتتلقوا مكافأة عظيمة وخالدة مقابل خدمة قصيرة وقليلة.

هنا تنتهى الرسالة الخامسة ،،



المصادر والمراجع

ذكر كلمة Infidel

الرسالة السادسة

رسالة البابا إنوسنت الثالث إلى الملك والديمار الثانى
ملك الدانمارك يحث فيها الملك على المشاركة فى الحملة البلطيقية
حررت هذه الرسالة فى ٣١ أكتوبر عام ١٢٠٩م

كان دائماً من الصعب تبرير الحملات الصليبية على طول ساحل البلطيق، لأن الشعوب الوثنية فى شمال شرق أوربا لم تكن تُمثل دائماً خطراً كبيراً على الألمان، وقد اقترح البابا إنوسنت الثالث سبباً وجيهاً، فحواه أن المهتدين والمؤمنين فى تلك المناطق الوثنية قد تعرضوا للتهديد من قِبل جيرانهم، حتى أن كنيسة "ليفونيا" نفسها قد تعرضت لهذا الخطر، وصارت فى حالة دفاع.

ويتضح من هذا الخطاب، أن الحملة البلطيقية هى حملة "حرب" تبشيرية فى المقام الأول، وأنها شئ يتعارض بشدة مع القانون الكنسى، وإن كانت تتقارب مع الخبرة الألمانية، ومن جهة أخرى، فإن البابا إنوسنت الثالث استخدم "مظهر آخر مشوق" هو حكاية وليمة العرش، والتى وظفها البابا أغسطين كى يبرر استخدام القوة ضد الهراطقة، فكانت شئ آخر، تماماً مثلما فعل إنوسنت الثالث كى يستخدم القوة ضد الملحدين.

المصدر :

Innocent III, P.L.CCXVI, Cols. 116 - 17

نص الرسالة :

إنه الثعبان القديم، الذى يقترح كل الجرائم، فهو دائماً كالأسد، يبحث عن فريسة يلتهمها، إنه يبتلع نهراً ولا عجب، كان دائم الثقة فى أن نهر الأردن يمكن أن ينساب من خلال فمه، لقد أغشى أعين أناس محددين، أولئك الذين يجب مقارنتهم بالحيوانات عديمة الحس، وحتى عند هذه الدرجة فإنهم كانوا يتجاهلون تماماً

صانعهم الذى كساهم جلداً ولحماً، وبعد أن منحهم القوة وهدوء الأعصاب وعظام قوية، منحهم الحياة والرحمة، وسوف يعرض المخلوق هذا الوقار والاحترام الذى يدينون به إلى خالقهم، فاللعنة على معتنقى العقيدة الوثنية، إنهم يوقعونه فى عار هؤلاء الذين لا يؤمنون باسم المسيح، واضطهدوا هؤلاء مثل الشياطين الأشرار، أولئك الذين يبشرون بكلمة الرب إليهم، وعلى الرغم من أنك تقوم بالعديد من المجهودات والنفقات فى معارك الرب ضد الأمم البربرية والتى تتاخم حدود مملكتكم فإن مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية ستعلوا بازدهار أرض قلبكم، والتى زرعها بعد عناء سلاح التبشير الدينى. ولكى تشتعل نار الحب مع القانون السماوى، عليكم بإعادة التخطيط لتجهيز جيوشكم للحماية الإجبارية. وحسبما يذكر الإنجيل: "أن على الضعيف والعاجز والضرير والأعرج أن يحضروا فى وليمة عرش الملك الأعلى، إذ بعد أن انزلقت الأمم البربرية فى شرك الإيمان الأرثوذكسى ستتحول الغابة الخضراء إلى يابسة، والتى مازالت يعيش فيها النعام حتى الآن. وعلى هذا، فسوف نبلغ عزمكم إلى الرب، ونحن ندلى بالنصيحة إلى عبادتكم الملكية بعناية كبيرة، ونشجع ونأمر بغفران كل خطاياكم والتى تحجب حب الرب عنكم، والذى بقوته قاد عبوديتنا إلى الأسر، فأنت تحمى نفسك برجولة لتخلع الوثنية من جذورها، وتنشر قوانين وشرائع العقيدة المسيحية. فأنت أبداً لا يجب أن تخشى معاناة هذه الأيام والتى لا تستحق أن تقارن بالمجد القادم الذى سوف يعمنا، ولكن بفضل ساعدكم القوى، سوف تلعن وتذيل أوثانهم ووثنيتهم القذرة.

فلتحارب فى هذه المعركة بشجاعة وبقوة الفارس الماهر من فرسان المسيح، فإن حاربت بقوة، فسوف تستحق أن تتوج فى المجد الأبدى والذى لن يدخل فى قلب البشر.

هنا تنتهى الرسالة السادسة،،



الرسالة السابعة

خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى الظاهر غازى، ملك حلب
حررت هذه الرسالة فى ٧ يونيو ١٢١١م (**)

إلى الرجل النبيل سلطان حلب (١) من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة والاستمرار من خلالها فى الطريق الصحيح، يوصيه البابا إنوسنت الثالث خيراً ببطرق أنطاكية(٢).

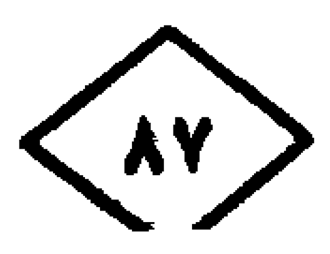
بما أننا علمنا بحقيقة علاقة الكثيرين، فإنك حتى إذا لم تكن قد اضطلعت للآن بقسم ولاء للديانة المسيحية، فإنك مع ذلك ستتصل إلى الطريق القويم للإيمان ضمن الكثيرين الذين آمنوا بالمسيح (٣) ومن ثم فإننا نثق بتقوى وورع أنه (المسيح) سيغمرك بأنوار زيارته.

وعلى هذا فإننا نحرص على حثك باسم يسوع أن ترعى العدل وتحمى الحق اللذين سيسددان خُطاك فى طريق الأمان، فلديك أخانا المبجل بطرق أنطاكية الذى نوقره بسبب فطرته المخلصة فى التوفيق بين بقية الإخوه وبين أساقفتنا.

فأدخلناه فى رحمة الرب وإحسانه، وحظى باحترامنا وحسن تقديرنا إياه، فلا تسمح لأحد بالمساس به أو بكنيسته بدون وجه حق، طالما بقى معك، ولتوفر له فرصة العون والمشورة، وكل ذلك بفضل العناية المقدسة، ولتقارن أنت فضل سكينة، واطمئنان الأتباع (الحواريين) الذى خطيت به.

فى السابع من يونيو من السنة الرابعة عشر من بابويتنا (٤)

هنا تنتهى الرسالة السابعة ،،



المصادر والمراجع

(**) Innocent III, Regesta, in, P.L. Vol. Ccvi, Cols. 434.

(١) المقصود به هنا الظاهر غازى بن صلاح الدين، ملك حلب (١١٨٦ ـ ١٢١٦م).

(٢) المقصود به هنا بطرس الثانى أف أفريا (١٢٠٩ ـ ١٢١٧م).

(٣) هذه هى النغمة التى سادت فى الغرب آنذاك ولاغرو فقد كان أحد أهداف الحركة الصليبية التبشير بالمسيحية على المذهب الكاثولوليكى بين المسلمين فى الشرق الأدنى وتنصيرهم، وهو ذلك الجهد الذى كلف به جاك دى فيترى آنذاك. (المترجم).

(٤) التاريخ الذى حرر فيه البابا هذا الخطاب إلى الملك الظاهر، هو ٧ يونيو عام ١٢١١م / ٢٣ ذى الحجة ٦٠٣هـ.

الرسالة الثامنة

خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى الملك الفونسو الثامن ملك قشتالة يعزو فيه النصر على المسلمين فى الأندلس إلى قوة الرب التى لا تقهر
حرر ت الرسالة فى ٢٠ أكتوبر عام ١٢١٢م

يتضمن هذا الخطاب شكر الملك ألفونسو ملك قشتالة الرب عندما سمع أنباء الانتصارات على المسلمين فى الأندلس فى موقعة لانافار دى تولوز، وفيه يستمد البابا إنوسنت الثالث الخيال من العهد القديم، وقد برهنت على الانتصارات فى واحدة من الحملات الصليبية القليلة، وهو نجاح لمنصبه البابوى.

المصدر:

Innocent III, B. L . Vol. CcxvI, Cols. 703 - 704

نص الرسالة :

الله، الحامى لكل آمالنا، والذى لا قوة غيره، ولا ثبات، والذى يغمرك برحمته كما يغمر كل الشعب المسيحى، وهو الذى يصب جام غضبه على الأعداء الذين لايؤمنون بالسيد، وكذلك ضد الممالك التى لا تعترف باسمه المبجل.

وهم يسخرون من الروح القدس والنبوءات، هؤلاء الأعداء الذين اندفعوا فى غيهم وغرورهم ضد السيد، أمكن كبح جماح قوتهم وغطرستهم، هؤلاء الذين ينتابهم أفكار خاوية قد أذلوا وألقى بأفكارهم فى التراب، فهؤلاء يثقون فى خيولهم بسبب كثرتها، وفى فرسانهم لأنهم أقوياء، ولكنه لم يكن لديهم ثقة فى رجل اسرائيل المقدس "المسيح" وكانوا يحتقرون كل من يناشد الرب.

والأكثر من هذا أنهم كانوا يتجرأون على الله ويتحدونه فى الحياة والعدل والحساب، وبعجرفة كانوا يرفعون أصواتهم ضده، وينظرون إليه من علياء.

ولكن الرب المبارك وضع خاتماً فى أنوفهم وشكيمة بين أسنانهم، وكافأهم بذلك بقدر ماقدموا وبقدر سوء نواياهم، لكى يعرف الشعب الموابى، أن غضبهم وغرورهم كان أعظم من جلده، وثباته، وقوته، وأن كل أولئك الذين يحبون اسمه لهم الأمل الكبير فى الرب فهم يرون أن الرب لن يهجرهم، وهم يعلقون الأمل على رحمته، وهو قريب إلى من يدعونه يمدهم بقوته، وبذلك لم يكن لدى هؤلاء شك فى حقيقة ما يقرأون من إخلاص وقوة السيد، فيهرعون إليه دون تردد أو دون جُبن أوخوف، لأن الرب "السيد" سوف يمنح القوة إلى شعبه.

ولكن يجب أن نبتهل إلى الرب المعين، وقد تعلمنا فى كثير من الخطابات الطاهرة، أن الرب هو الذى علم أيدى قومه كيف تحارب وكذلك أصابعهم على القتال. مجدداً بذلك معجزات العهد القديم، ومنقذاً لشعبه الذليل فى مثل هذه المعركة العظيمة المروعة، فأذل العيون المغرورة.

فلنهلل ونفرح بالرحمة الوافرة التى منحنا الله إياها، فأكسبنا ذلك بهجة وسروراً فاق الوصف، فلندعوا معاً رجال الأكليروس وكل شعب "مدينة روما" لكى نؤدى مراسم وشكر العطاء، بقدر استطاعتنا، ولن نوفيه حقه، فهو وحده صانع المعجزات العظيمة، حيث كانت نفس هذه الخطابات من سموك لكى تقرأ فى حضور كل الجمهور الغفير.

لقد قمنا نحن بأنفسنا بشرح وتفسير كل هذه الرسائل، وإن كنا نفضل الآخرين علينا حتى يبلغوا عظمتكم وذاتكم الملكية، كم أننا شديدى الفخر، بإبلاغكم هذه الأمور، وذلك بعد أن استدعينا للاهتمام بالأعمال القديرة للقوة الإلهية.

وبالنسبة للخاتمة أيها الأخ الحبيب، فإننا نريد لكم أن تدركوا عن طريق الإلتماس والموعظة فى الله، فيجب عليكم أن تعزوا النصر الذى منح لكم ولكل الشعب المسيحى إلى الرب، وبالاعتراف الذليل بأفواهكم وكذلك بقلوبكم، إذ أنها لم تكن أيدى رفعتكم ولكن هو الرب الذى فعل كل هذه الأشياء بما يتناسب مع ما قد عرض فى القانون الإلهى، فلا تقولوا "بيدى وقدرتى، وبقوة يدى تم إنجاز هذا العمل العظيم، بل كن مهتماً بالإله ربك، لأنه هو الذى منحك الثبات والقوة".

ولأن هذا النصر لم يكن من صنع الإنسان، فإنه دونما شك من صنع قوة الرب وسيفه. وفى الحقيقة، يجب علينا أن نقول، أن الرب "الإنسان" هو الذى حطم ودمر الأعداء، وعندما تخلى عنهم، تعرضوا للهلاك والسلب والنهب، حتى أن الواحد منهم كان يُكره ألفاً على الفرار، وكان الاثنان يُكرهان عشرة آلاف على الفرار، ولكن لم يكن هذا ليحدث لو لم يكن معهم الرب، وكان الرب يصب جام غضبه عليهم بسبب ارتكابهم الآثام ضده، كما أنهم لم يكن لديهم الرغبة فى اتباع سلوكه.

وعلى هذا لم يكن السير إليه مفعم بالنشاط، لأن هذا الصنف من الناس، ارتكبوا آثاماً وشروراً أدت إلى سقوطهم هناك. ولكن عليك أن تمنح المجد والرفعة لله، وقل بإذلال وتواضع مع الرسول "حماسة الرب" هى التى فعلت هذا.

وبينما يبتهج الآخرون فى مركباتهم وعلى جيادهم فأنت يجب عليك أن تبتهج وتسعد باسم الرب إلهكم، واعتبرها عقاباً قد فرضه الرب على غير المؤمنين، واغسل يديك فى دماء الخطايا، وبالنسبة لنا فنحن على يقين من أننا دائماً نحب شخصكم بقلب صافى وضمير سليم وإيمان حقيقى، وأننا ننمو بنفس القدر فى حبكم، مفترضين أن نكون حاضرين فى كل أموركم الرصينة، وبنفس القدر فإننا نستطيع مع الرب ومع سيادتكم ومع أمانيكم.

ولهذا فالكفاح دائماً لفعل مثل هذه الأشياء التى تستحق التصديق البابوى والتى من خلالها سوف تكون قادراً على تبديل المجد العابر المؤقت لمملكتنا الأرضية إلى البركة الأبدية للمملكة الخالدة التى لن تفنى أبداً.

نحن نأمل أن نكون المتحدثين والمشارين عن مثل هذا الأمر، ونحن نراجع بالدقة وعلى صحيح ما سوف يأتى مؤكداً.

هنا تنتهى الرسالة الثامنة ..

الرسالة التاسعة

البابا إنوسنت الثالث والدعوة إلى الحملة الصليبية الخامسة
فى الفترة من ١٢/٢٩ إبريل عام ١٢١٣م

Regesta;Innocent III,(weimar,1929) PP.88-97

نص الرسالة :

إن هذا الوقت لهو أكثر إلحاحاً وإجباراً عن أى وقت سابق عليه فى مساعدة الأرض المقدسة، التى صارت فى حاجة ماسة إلى ذلك، وأننا نأمل أن ترسل المساعدات إلى الأرض المقدسة التى هى فى أمس الحاجة إليها أكثر من أى وقت مضى، لقد بلغ الصراخ والعويل مرة ثانية إلى المسيح، الذى ننادى من أجله لأنه عندما مات كان يحمل الصليب معه، ولتصير مطيعاً للرب الآب، قدم الموت أمام الصليب، ولتصرخ بعلو صوتك لكى تنجينا من العذاب الأليم، عذاب الموت الأبدى. وينادى المسيح أيضاً 'أن أى إنسان يأتى من بعدى عليه أن ينكر نفسه ويتبعنى ويحمل معه صليبه." ولكى نكون أكثر وضوحاً وصراحة، نقول: أن أى إنسان يرغب فى أن يتبعنى إلى العرش، فعليه أن يتبعنى فى أرض المعركة، حيث تكون بمثابة اختبار حقيقى لكل إنسان "وعندئذ تحرر الأرض بفضل قوة الرب من أيدى الأعداء دون صعوبة، بل ويمنعها أن تقع فى أيدى الأعداء إذا شاء ذلك" ولكن عندما يدب الضعف بسبب القيود، فإن ذلك مرجعه فى فتور الحب فى قلوب بعض الرجال الأمر الذى يجعله "أى الرب" يقدم تساؤله أمام أتباعه المخلصين، ليوقظهم من ثباتهم الأبدى مرة ثانية ليواصلوا الحياة التى عن طريقها يمكن أن يجعلوا عقيدتهم مثل الذهب. وأن هذه فرصة منحها إياهم الرب ليس فقط ليفوزوا بالخلاص، ولكن أكثر من هذا، أن يقاتل هؤلاء الذين يقاتلونهم بإخلاص من أجل الرب الذى فى النهاية يتوجهم بتاج السعادة. ولكن الذين يرفضون أن يؤدوا هذه الخدمة للرب فإنهم يستحقون الإكراه على تحمل العقوبة، عقوبة اللعن يوم الحساب العسير فى الآخرة.

آه، كم هو حسن وجميل حقاً أن يتقدم الكثير والكثير جداً ليكفر الكاهن عن ذنوبهم وليسلموا أنفسهم إليه، بدلاً من العذاب المميت، ويكفى فى هذه الحالة أن يحرر الواحد منهم الأرض المقدسة، وينال الشهادة، فكم من الرجال يموتون بأساليبهم الشريرة عندما ينزلقوا أمام رغباتهم وشهواتهم الجسدية والإغراءات الدنيوية. إن هذه لهى المكيدة القديمة التى دُبرت للسيد المسيح، والتى أبى أن يقبلها من أجل تجديد وتخليص وإنقاذ عقيدته فى هذه الآونة. أما إذا طرد أى ملك دنيوى من مملكته على أيدى أعدائه، فإنه دون شك سيسترد مملكته، كما أنه سيدين أتباعه ويشجعهم باعتبارهم أناس خونة غير مخلصين أو أمناء، وأن مثل هذا اللون من الرجال سينالون شتى ألوان العذاب، والتى ستكون فى نهاية الأمر مؤسفة ومخزية لهم، إذا لم يخاطروا ليس فقط بممتلكاتهم، ولكن أيضاً بأنفسهم! وفى الواقع فإنه فى مثل هذه الحالة فإن ملك الملوك السيد يسوع المسيح يستحق أن تبذلوا من أجله الجسد والروح خاصة وأنكم مدانون بسبب ارتكابكم الرذائل التى تحتاج إلى بذل الجهد للتخلص منها، بل عليكم أن تتقدموا لمساعدته إذا طلب منكم ذلك، وإلا سيطردكم خارج مملكته. وعلى هذا عليكم أن تعرفوا أن أى إنسان يخفق ويتراخى فى تقديم المساعدة لسيده يسوع المسيح الآن فإنه يستحق اللوم وتلعن كل خدمة أو خدمات قدمها من قبل على نحو خطير جداً.

وعلى هذا، فإنه يمكن للمرء القول، أنه يحب لجاره ما يحب لنفسه، فيطيع أمر الرب طالما المرء على معرفة ودراية بأمر إخوته فى الدين المسيحى، الذين يحملون اسمه، ووقعوا فى أيدى المسلمين الخونة، الذين زُج بهم فى سجون موحشة ويعانون من شدة ووطأة نيران العبودية ما الذى تظنون أن يفعله ذلك الإنسان ! هل تفعلون تجاههم ما فعله السيد المسيح تجاهكم ؟ ألم تعلموا أن الآلاف من المسيحيين قد وقعوا فى نير العبودية وزُج بهم فى السجن وتعرضوا لمختلف ألوان العذاب بأيدى المسلمين، والحقيقة أن معظم الشعب المسيحى فى كافة الأقاليم قد تعرض لسلب

ونهب المسلمين حتى عصر جريجوري المهيب، ولما ظهر النبى (محمد) (١) كان قد أغرى العديد من الرجال وأغواهم وجذبهم إليه بأمور دنيوية مزيفة، ولكن على الرغم من هذا (٢) إلا أن السيد المسيح قد أشار إلى أن هذا العمل (٣) الحقير سوف ينتهى فى المستقبل القريب، وأن هذه الجماعة (٤) سوف ينتهى أجلها طبقاً لنبوءة القديس يوحنا الذى قال أنها سوف تنتهى خلال ٦٦٦ عاماً، ستمائة ستة وستون عاماً، وقد انقضى منها بالفعل حوالى "٦٠٠" عام، ستمائة سنة، وعلى الرغم من هذه البشارة العظيمة السالفة الذكر، إلا أن المسلمين الخونة لازالوا يوجهون ويوقعون الظلم بنا، ويشكلون خطورة علينا ويسيئون نحونا إذ منذ عهد قريب قاموا ببناء حصن قوى، فوق تل طابور، وهو مكان يحمل اسم المسيح، حيث أوحى إليه "أى المسيح" هناك وكلّم فيه المسيح حوارييه عن مستقبله العظيم. ويعتقد المسلمون أنه ببنائهم هذا الحصن فى هذا المكان سوف يستولون على مدينة عكا، التى تقع على مقربة منهم جداً، ثم بعد ذلك يستولون على باقى الأراضى دون عائق أو مقاومة، وهى المناطق المجردة من القوة والإمدادات.

ومن أجل ذلك عليكم شحذ أنفسكم، وليبذل معظم الأبناء الأعزاء سهامهم، وليتبارى الأخ مع أخيه، وليتصافحوا فى سلام وحب وتصادق، زودوا أنفسكم لخدمة المسيح المصلوب، ولا تتراجعوا خوفاً من المخاطر، ولتبذلوا ممتلكاتكم وأنفسكم، فهو (أى السيح) أسلم نفسه وحياته وذرف كل دماءه من أجلكم، إنكم سوف تحققون راحة أبدية ومكسب أفضل من هذه الحياة الدنيا، لو أنكم ندمتم بصدق وإخلاص بشكل لا يقبل الشك. وهذا ما يجعلنا نثق فى رحمة وقدرة الرب وسلطة الآباء الموقرين بطرس وبولس، وأنه بهذا الرباط القوى وتلك الحرية، فإن الرب سوف يكون معنا وإلى جانبنا فى الحرب. وعلى الرغم من كفاحه فى هذا العمل، إلا أن نفقاتهم الشخصية والتى يعبرون عنها بصدق شفاههم، إلا أنها محور غفران ذنوبهم والتى تدل على ندم قلوبهم وفى نفس الوقت هى مكافآتهم والتى تمثل الوعد بالخلاص الأبدى. وأما أولئك الذين لا يشتركون بأنفسهم فى الحملة العسكرية فإنه على الأقل عليهم أن يرسلوا

أناس مناسبون على نفقاتهم الخاصة بناءً على أوضاعهم وحالتهم الاجتماعية؛ وفى نفس الوقت ينالوا غفران كامل على نحو مشابه لإخوانهم الذين يزيدون عليهم بالنفقات. كما أننا نأمل ونمنح كل أولئك الذين يهبون حصة مناسبة من أمتعتهم ومؤنهم لمساعدة تلك الأرض، نصيب من الغفران للذنوب التى ارتكبوها بشكل يتلاءم مع ما قدموه من مساعدة مخلصة.

إننا نحمّل أولئك الأفراد وممتلكاتهم، الذين حملوا الصليب فى ذلك الوقت، أمر حماية القديس بطرس وحماية أنفسنا، إذ أنه فى الحقيقة، ومن أجل حماية رؤساء الأساقفة والأساقفة وأساقفة الكنائس، فإننا قد قررنا أن تبقى تلك الأمتعة دون مساس أو تحرش بها، حتى نتأكد من وضع هؤلاء الأفراد، من يموت منهم ومن سيعود إلى الوطن. وأن أى إنسان يرفض ذلك، سوف يثبط ويحبط عمله عن طريق أساقفة الكنائس الذين يوجهون إليهم نقد ولوم الكنيسة، دون أن يكون له الحق فى اللجوء إلى المحاكم أو أمر الدفاع عن نفسه.

ولو أن أى إنسان أعلن تعهده عن ذلك المكان على نحو جاد بأن يفى ما عليه من دين للمرابين فإننا نأمر بنفس الشدة والقسوة أن يُكره هؤلاء ومرابيهم على أيدى أساقفة الكنائس على أن يتحللوا بالقوة من تلك العهود التى التزموا بها أمام دائنيهم، وبنفس الطريقة فإننا نجبر الدائنين أن يردوا تلك الديون (الربا) إلى أصحابها. إننا لنأمر اليهود الذين فرضوا عليهم بالطرق الدنيوية والقوة العلمانية، أن يتنازلوا عن الربا لنفس الشعب، سواء تلك التى تمت عن طريق العلاقات التجارية أو أى طريقة أخرى. ويجب على كل أصحاب العقيدة المسيحية أن يبرأوا من هؤلاء عن طريق توقيع عقوبة الحرمان حتى يقوم هؤلاء بالصفح عنهم.

ولكن يمكنكم أن تقدموا المساعدات ولو بالنذر القليل إلى الأرض المقدسة، فإننا نطلب من كل فرد، باسم الآب والابن والروح القدس "إله واحد" هو الله الأبدى، على كل فرد أن يتقدم بكامل نفقته تكفى مدة ثلاث سنوات، ومعهم رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤساء الأديرة السابقين عليهم وجماعات الرهبان والكاتدرائيات وكنائس

الأديرة، وكل المجامع الكنسية والقرى والقلاع والمدن، كل أولئك طبقاً لأساليبهم وتقاليدهم. ويمكن لكل جماعة من الرجال المقاتلين أن ينضموا ويلتحقوا بهم فى رحلتهم، كما أننا نعلن ونصرح، إذا لم تكن هناك قوة كافية من الرجال، فإن السبب سيكون انعدام الوسائل السالفة أو نقصها.

إننا نطلب نفس الشىء من الملوك والأمراء والكونتات والبارونات وأصحاب الشخصيات المرموقة والذين لم يذهبوا بأنفسهم من أجل خدمة صليب الصلبوت، ونطلب كذلك من المدن البحرية المساعدة البحرية، وأن الأعباء الثقيلة التى لا تطاق تجعلنا لا نتمكن من مهاجمة الآخرين، وأن نعاهد الله على أن نعد أنفسنا وقلوبنا من أجل قتال الآخرين "من الأعداء"

نحن نمنح ونخول مجلس الأكليروس ترخيص خاص من أجل تحقيق متطلباتكم فى هذه المهمة ومن أجل هذا الموضوع، دونما أى إنكار أو تكذيب فإنه بإمكانكم رهن وضمان استعادة إقطاعاتكم مدة ثلاث سنوات.

وفى الحقيقة، يجب ألا تؤجل أو يكن هناك أية عوائق فى تقديم المساعدات للأرض المقدسة، وأن أى فرد يتقدم لحمل الصليب عليه أن يخضع لعملية الفحص لإثبات ما إذا كان مناسباً أو قادراً على أن يفى بوعده ونذره. فإذا كان كذلك فنحن نمنحه أداء هذا الواجب، هذا باستثناء الأفراد الذين يرتبطون بالنذر الرهبانية، لأنه فى مثل هذه الحالة، عليهم حمل الصليب عن طريق أمر رسمى من البابا، خاصة إذا كان الوضع ملحاً.

ومن أجل كل هذا، فإننا قمنا بإلغاء الغفران والآثام التى كنا قد منحناها لأولئك الذين يبدأون الرحلة إلى أسبانيا ضد المغاربة، أو ضد الهراطقة فى إقليم البروفانس، خاصة لأن هؤلاء كانوا قد أذعنوا فى تلك الحالات التى انتهت إلى الأبد، وأن هذه الحالة كانت قد اختفت وتلاشت بالفعل، لأن المهام والشئون فى هذه المناطق قد زالت بفضل نعمة الرب علينا، الأمر الذى لم تعد هناك حاجة إلى استخدام القوة،

ولو أن تلك المناطق كانت فى حاجة إلى مساعدتنا، ما كان لنا أن نألوا جهداً فى متابعتها ووضعها نصب أعيننا، ومع هذا فإن غفران الذنوب والآثام لأولئك الذين يقطنون فى البروفانس وأسبانيا ستستمر وتبقى متاحة للجميع. ولأن قراصنة البحر وقُطاع الطرق واللصوص قد دخلوا إلى الأرض المقدسة عن طريق تلك الرحلات، فإننا أصدرنا أمرنا بالحرمان الكنسى ضد هؤلاء ومعاونيهم ليظلوا تحت التهديد الصارم والمراقبة والحرمان الأبدى، وكذلك من يتصل بهؤلاء أو يتعامل معهم فى البيع أو الشراء، كما أصدرنا أمرنا إلى حكام مدنهم ومقاطعاتهم لكى يدعونهم إلى العودة ويحتجزونهم لديهم لإنهاء الآثام والجرائم التى يرتكبونها، وإلا ستصدر ضدهم وأراضيهم مواقف صارمة من قبل الكنيسة، لأن هؤلاء الذين يحملون اسم المسيح "التنصير" لم تكن خطورتهم "على الدين المسيحى" أقل من خطورة المسلمين "عليه". وأننا ننظر إلى هؤلاء الذين يرتكبون الفواحش نظرتنا إلى أولئك المرابين، وأن الرجل الذى يحمى المجرم إنما يكون واحداً فى تلك الجماعة السرية وأنه يعمل معهم. الأمر الذى يجعلنا نصدر أمرنا من جديد فى مجلس اللاتيران بالحرمان ضد أولئك الذين ينقلون الأسلحة من الحديد والأخشاب من أجل صناعة السفن ومنحها للمسلمين، ويكون قرارنا بالحرمان كذلك ضد قبطان السفن المتجه إلى المسلمين. ولو نجح هؤلاء فى الإفلات من تحت أيدينا، فإنهم يعاقبون بمصادرة أملاكهم ويصيروا عبيداً لدى معتقليهم. فمثل هذه الجماعة "التى تعمل لصالح المسلمين" نأمر ونصدر حكماً بطردهم علانيةً فى كل يوم أحد وفى يوم العشاء الربانى وفى كافة المدن التجارية.

وفى مثل هذه الحالة، علينا أن نثق ثقة كاملة فى رحمة الرب وعون السماء التى هى أفضل من قوة الإنسان، كما أن قتالنا ونضالنا يجب ألا يعتمد بالدرجة الأولى على سواعدنا، ولكن بشكل أكبر على أرواحنا. وعلينا أن نقرر ونصدر أوامرنا بأنه فى خلال شهر أن تلتحم القوات وتتجمع الفرق المنفصلة، وهنا يجب على النساء أن

تنعزل من أجل الصلاة بعقولهن وأجسادهن ويبتهلن فى خشوع وتضرع حتى تنزل علينا رحمة من السماء فتخلصنا من الخذى والعار وتحررنا من أيدى أصحاب الديانة الوثنية، وتحرير تلك الأرض واستعادة عالميتها المقدسة واستردادها إلى الشعب المسيحى وبالتالى استعادة اسمه المقدس وإعادة الحياة إلينا من جديد.

وعند السير قدماً يتقدم المبشر بالصليب لإنقاذ البشرية، ويأمرهم بالصوم وتقديم الصدقات التى تلحق بالصلاة التى لها أجنحة، فتصعد بسهولة وسرعة إلى آذان الرب المحبوب، الذى سيكون أكثر إصغاءً لنا وفى وقت محدد بعينه، أثناء الاحتفال بالقداس عندما تأتى لحظة قُبلة السلام ونقدم القرابين والأضاحى لمحو الذنوب، ذنوب العالم الذى يكون على وشك الانتهاء. فعلى كل رجل وكل امرأة أن يتضرعوا ويلقوا بأنفسهم على الأرض سجداً ويرددوا التراتيل: آه يا الله لقد وطأ الوثنيون بأقدامهم مُلكك وإرثك، فليرتل الإكليروس بصوت عال، حتى ينهض الرب عند نهاية التراتيل، ولندع أعداءنا يتناثرون ويتبددون، ولندع ذلك الحقد والكراهية فى هؤلاء تهرب من أمام وجه الرب. ويجب على الكاهن الذى يقوم بترتيل هذه الأنشودة، أن يجعلها فوق مذبح الكنيسة: "الله يا مدبر ومنظم كل شىء على نحو مدهش وعجيب نتوسل إليك أن تخلصنا من أيدى الأعداء، أعداء الصليب، وتخلص الأرض التى هى إرثك وملكك فقط من أجل الابن الذى كرس دمه، أن تعيدها إلى الشعب المسيحى، ولتجعلها محررة من أجل سيدنا يسوع المسيح نفسه".

إن خزانة خاوية فى موضع بكل كنيسة لها ثلاث مفاتيح حيث يحتشد عندها الجمهور المتقدم نحوها. هى التى يعتنى بها أسقف أمين وصادق، وآخر يكرس نفسه من العلمانيين وثالث من ديانة أخرى، وعلى المجلس الإكليرى والعامة من الناس أن يضعوا صدقاتهم بهدف تقديم المساعدة للأرض المقدسة.

وإلى جانب تلك الخزائن هناك من يقوم بالإنفاق على هؤلاء الذين يقومون عليها. وعند تنظيم وإعداد جيش السيد المسيح فى مكان ملائم يمكن الاعتداد بها وكذلك أثناء مرور الجيش وعند الرحيل، كيما يتمكن الصليبيون من حمل الصليب. ولكن عندئذ ينظر إلى وضع المرء المالى بعين الاعتبار. كما يمكن أن يشارك فى حمل الصليب كل من الرجال الحكماء والعقلاء والمفكرين.

وأن هذه المهمة نعهد بها إلى أحبائنا من الأبناء، الكاهن "*Salem*" وهو الأسبق، ورئيس أساقفة أوجسبورج، إننا نثق فى هؤلاء وفى إخلاصهم، فهم يتمتعون برجاحة العقل والكمال، وعلى أيديهم سوف تحقق أبهر النتائج، فلنمدهم بقدر ما يقومون به من عمل فى مهمة نواب المسيح الرسميين.

هنا تنتهى الرسالة التاسعة ،،

المصادر والمراجع

(١) يذكر إنوسنت الثالث "لعنه الله" رسولنا الكريم "محمد ﷺ" بلقب"بـن الجهنمـى المزيـف" ليثير من حماس المسيحيين، كما أنه يوضح موقفه العدائى تجاه الإسلام.

(٢) ذكر الباحث لفظ الإشارة بدلاً من "خيانة وغدر النبى".

(٣) ذكرنا كلمة "العمل" بدلاً من "الإنسان فى النص".

(٤) "الجماعة" جاء بها المترجم بدلاً من كلمة "الدين الإسلامى".

الرسالة العاشرة

رسالة البابا إنوسنت الثالث إلى رئيس أساقفة "*Salem*"
ورئيس أساقفة "*Neubrg*" والأسقف الثانى فى "*Speyer*"، أيضاً إلى
"*Provest of Augsburg*" يدعوهم إلى التبشير بالحملة الصليبية الخامسة
حررت الرسالة فى مايو عام ١٢١٣م

المصدر :

Innocent III, P.L. CcxvI, Cols. 822

نص الرسالة :

نحن وبعون الله يمكننا أن ندعوا أهل التقوى والورع من العامة لأجل الخطة المقدسة ولمساعدة الأرض المقدسة ومن أجل الرخاء العام الذى نجاهد من أجل تحقيقه، كما أننا نثق فى إخلاصكم فاتخذناكم واعتبرناكم خير من يقوم بالتمثيل كمندوبين عن السيد المسيح فى هذه المسألة، وأننا نطلب منكم أن تكرسوا أنفسكم من أجل هذا الهدف، وأننا لنأمل وندعوكم باسم السيد المسيح من خلال تلك الرسائل الرسولية مقابل غفران الخطايا والذنوب التى تذوب فى حماية الإيمان بالمسيح ومن أجل أن نحقق رسالة الصليب فى إقليم مينز "*Mainz*" فنحن نتضرع بقلوبنا إذ ليس بإمكاننا أن نتحمل الخطايا وعليكم أن تبرأوا من الشهوات .

كما أننا ندعوكم أن تولوا اهتماماً عظيماً لتفسير محتوى الرسالة على الوجه الأكمل، وترسل بعناية كل ما تراه فى محتوى الرسالة من أجل مساعدة الأرض المقدسة التى نتطلع أن تراقبوها بعناية.

لذلك لابد أن نوضح بأعمالكم أنكم تحملون فى قلوبكم جراح يسوع المسيح، ونأمركم بشدة أن تنكروا على أنفسكم كل ما تستحقونه من مكافآت مادية فيجب ألا تقبلوا أى شئ من أى إنسان سوى الطعام والضرورات الأخرى، وحتى هؤلاء لابد أن تأخذونه وتتعاملوا معهم باعتدال وتواضع.

ويجب على كل واحد منكم ألا يأخذ معه أكثرمن أربعة مطايا وستة "٦" من الخدم على الأكثر، ولابد أن تكونوا حريصن على مراقبة سلوككم ومظهركم فى هذه الأمور وغيرها حتى لا يجد الناس فيكم أى خطأ يمكن أن يُأخذ عليكم حتى تسمحوا لهم بالإساءة للتبشير المعهود به إليكم، إذ يجب أن ترتقوا بقضية المسيح.

بهذه الحماسة وبهذا الحذر تشاركون فى كثير من المنافع المتعددة والعظيمة التى نحن متأكدين من الوصول إليها. وعلى الجانب الآخر، إذا عُرض عليكم أى شئ لمساعدة الأرض المقدسة خذوه وأخبرونا فى نهاية العام، عما تم لكى نستطيع أن نرى كيف حققتم تقدماً وازدهاراً وتوافقاً بين الأشخاص، وفى القضايا التى يتضمنها هذا العمل النافع، ونحن نرد عليكم ونخبركم بسعادتنا العميقة ونعلمكم كيف تسير فى المستقبل .

هنا تنتهى الرسالة العاشرة ،،

الرسالة الحادية عشر

رسالة إنوسنت الثالث إلى كونراد الأسقف الثانى فى "*Speyer*"
حررت الرسالة فى ٩ سبتمبر ١٢١٣م

المصدر :

Innocent III, P.L. CcxvI, Cols. 904 - 905

نص الرسالة :

لأنك بناءً على كلمة الرسول قد ظهرت غير واسع الأفق، ولكن الخوف لديكم مرجعه النقص والتقصير بينك وبين الرسول ؟ وعلى الجانب الآخر، فإن الثقة فيه تجعلك تتقدم بوفرة، وتجعل لغة التهتهة ضليعة.

ولأنك قمت بالمهمة التى كُلفت بها وبتشجيع الناس وجاهدت مثابراً لتحقيقها، فمنحك الله لنا، ومنذ أن بدأت فى هذا العمل بسألوب يستحق المدح والثناء، فقد وثق بك كثيراً، ولذلك فقد أخذنا استفسارك فى الاعتبار، وإجابتنا وردنا عليك: هو أن هؤلاء الذين اتخذوا الصليب شعاراً لهم وتقدموا للتصدى "للمسلمين" فى الإقليم وترجموا نيتهم إلى فعل وعمل لابد أن يتحملوا الجهد فى الرحلة إلى بيت المقدس، لأن هذا عمل به تتحقق السعادة العظيمة، وإذا كان هؤلاء لم يقتنعوا فسوف يجبروا على تنفيذ العهد الذى لم يحققوه بعد ؟ كما أننا سنضع فى الاعتبار أنك سوف تجيب على هؤلاء الذين يريدون أن يأخذوا شارة الصليب على الرغم من محاولات زوجاتهم ليمنعوهم عن الحملة.

وأنك متردد فى منعهم من تنفيذ نواياهم، وبما أن الملك المفوض من السماء أعظم من ملك الأرض، فاعتراضات الزوجات لا تستطع فى الحقيقة منع رحيل هؤلاء المدعوين إلى جيش المُلك الدنيوى : إذ من الواضح أن هؤلاء المدعوين والراغبين فى الالتحاق بجيش الملك الأعظم يجب ألا تمنعهم هذه الظروف ما لم يتأثر رباط

الزواج بسبب ذلك، ولكن الزواج غير الشرعى للأزواج والزوجات يكون عرضة لاحتياجات وتقلبات الوقت، والذي يجب عليك عمله هو التخلص من العامة، وكذلك التخلص من النساء الأخريات اللاتى إتخذن الصليب، ولم يكونوا غير قادرين على تحقيق أو تنفيذ العهد، كما أن أى إنسان ماعدا المتدين يمكن أن يحمل شارة الصليب عند الضرورة الملحة ويمكن أن يفتدى نفسه بأمور شرعية. ولأن السيد قد اتخذ رفيقاً من هذا العالم، فإنه بناء على طلبك نعتقد أن رئيس أساقفة "*Schonau*" ينتظرك فى مكانة بناءً على طلبك.

هنا تنتهى الرسالة الحادية عشر ..

الرسالة الثانية عشر

رسالة إنوسنت الثالث إلى كونراد أسقف " Regensburg"
حررت الرسالة فى ١٠ ديسمبر عام ١٢١٣م

المصدر :

Innocent III, P.L. Cexvl, Cols. 906 - 907

نص الرسالة :

إننا نبتهج بالسيد المسيح من خلال قدرته وعظمته، لأنك أخبرتنا عن عقيدتك، وأنك تعالج موضوع صليب المسيح، وزاد وثوقنا بك، والتى تتقدم بفضل تعاون النعمة المقدسة؛ وأننا أيضاً ننصح وبعناية كبيرة، ونشجع شخصكم على أن تضع فى اعتباركم عقاب السماء، وأن تتبع العمل والأسلوب الذى يجعلك تتغلب على كافة الصعاب التى تواجهك من أجل اسم السيد المسيح، والذى سوف تجنى من ورائه أسباب المتعة إلى جانب هؤلاء الذين توجهوا ويتوجهون وبكوا هناك عندما قاموا بوضع البذور؟ ولأننا أدركنا أنك لن ترضى بعدد المطايا التى سمحنا لك بها، وكما ذكرت فى خطابك إلينا أنك لا تجرؤ على أن تغامر بهذا العدد مسافة "أو على بعد " ميلين خارج مدينتك عبر مخاطر الزمان، فقد وافقنا على العلاج الذى أمدته حصانة ورجاحة عقلك ضد أية عائق من مثل هذا النوع؛ ونأمرك يا أخى فى خطابات رسولية أن تندب المهمة إلى الحريصين والأمناء من الرجال عندما لاتستطيع أن تقوم بهذا العمل شخصياً واعتبر أن أى قرار تصل إليه نقوم نحن بالموافقة عليه ولكن فى حدود سلطاتك؛ ولأننا لدينا ثقة عظيمة فى حرص حكمتك فى تقدير عدد المطايا (الركائب) التى تحلو لك بشكل سريع بناءً على الأحوال

والأوضاع السائدة سواء بالنسبة لك أو بالنسبة لمندوبيك، فإننا نسلمك السلطة والحرية فى التصرف وبالطريقة التى يتطلبها الموقف طبقاً للتوجيهات والتعليمات التى زودناك بها، خاصة ما يتعلق بهؤلاء الذين يبدون استعداداتهم.

وهذا يعنى أنه عندما تقوم بجمع أفراد أبرشية أو ثلاثة أو أكثر لتستمع إلى كلمة الرب، فإنه يجب أن يدفع أساقفة الأبرشية فى نفس الوقت مبلغاً متواضعاً إلى المبشرين بكلمة الرب، حيث أنه فى مثل هذه الحالات لم يكن لدى كل أسقف أو مبشر ما يكفيه من المال.

ونحن نسمح لك أيضاً أن تقوم بمنح حق الغفران للمذنبين، إذ خولنا فى سلطاتك المذنبين الذين وضعوا أيديهم فى أيدى رجال الدين والقساوسة الآخرين الذين يرغبون فى حمل الصليب، هذا بالإضافة إلى الجميل الذى أسدوه تجاه الخسائر، إذ لم يكن من الممكن على هذا النحو أن تكون الجرائم خطيرة جداً وكثيرة.

وعليك أن ترسل إلى الرسول من أجل هذا. ولكى نقوم بحمايتك فى هذا الأمر نخول إليك دون استئذان أن تعاقب بعنف كل هؤلاء الذين قاموا بغزو أو تهديد لأى ممتلكات أو ما يتعلق بممتلكات كنيستك فى أى أبرشية.

وعندما تكون منشغلاً فى مثل هذا العمل، فإنه يتحتم عليك أن تتحمل الآلام لتبدوا حكيماً وحريصاً فى كل شئ فتزداد سمعتك وقدرك فى عيون الرجال وثوابك فى عيون الرب الذى يزيد من نعمائه وفضله عليك.

هنا تنتهى الرسالة الثانية عشر،،



الرسالة الثالثة عشر

رسالة من البابا إنوسنت الثالث إلى المبشرين بالحملة الصليبية الخامسة

المصدر :

Innocent III, P.L. CcxvI, Cols. p. 97 - 98

نص الرسالة :

قمنا نحن أنا البابا إنوسنت الثالث بوضع نظاماً لعملية التبشير بالصليب، ففى إيطاليا بشر بالحملة الصليبية الخامسة أسقف هنجاريا "*Hungary*" وفى سوريا الاتينية وفلسطين كان جاك دى فيترى أسقف عكا الجديد *James of Vitry of Tyre*" وهو واحد من أعظم المبشرين فى ذلك الوقت، وكانت مهمته هى دعوة الصليبيين للاشتراك فى الحملة الصليبية الخامسة، وفى الدانمارك والسويد كان المبعوث ورئيس أساقفة "*Slund*" ويساعده أسقف "*Suppsala*" أما فى فرنسا فكان المبشر هناك هو روبرت أف كورسون "*Roprt of Courson*" ورئيس الأساقفة "*Simon*" فى صور.

وقد عهدت أنا البابا إنوسنت الثالث إلى مجموعات صغيرة من المبشرين فى أى مكان من المملكة، وكان كثير منهم من الأساقفة بسلطات شرعية بهذا الخصوص وإلى أولئك الذين يقومون بمهمة التجنيد كوكلاء فى كل أبرشية.

وقد وجهنا هنا أول خطاب إلى كل المبشرين فى الأقاليم، ويحتوى على تعليمات كثيرة لهم، وأرسلت نسختنا إلى أربع مبشرين فى مقاطعة مينز"*Mainz*' الذين قابلناهم، والرسالة الأخرى إلى الأسقف الثانى "*Speyer*" وكان هذا الخطاب مشوقاً.

لأن الأسقف الثانى قد طلب التوجيه فى بعض المشكلات الصعبة التى واجهها مبشروا الحملة الصليبية الخامسة، والتى أطلق عليها الحملة الصليبية إلى بيت المقدس، وأولى هذه المشاكل هى أن أفراد الحملة الذين تجمعوا فى أكيزلت أوف أيزوى أقسموا عهداً على أن يشتركوا فى الحملة الصليبية دون موافقة زوجاتهم، وأدى ذلك إلى تغيير جذرى فى القانون الموجود، وهم بهذا ينكرون على الزوجات الحقوق التى اعتبرها المشرعون حقوقهم الطبيعية، ولا يمكن الاستفسار أبداً عن حقيقة أو قيمة هذا الاستثناء، وكان على الزوجات أن يعيشن غير مُستريحات فى ظل هذا القانون.

والنقطة الثانية التى طلب الأسقف الثانى توضيحها هى مقدمة عن السياسة الجديدة للاتصال والفدية والوفاء بالعهود، ولقد حذفنا من ترجمتنا لهذا الخطاب فقرة عن حقوق المبشرين فى الحكم والتى توجد أيضاً فى الخطاب الثالث الذى أرسل إلى أسقف ريجينسبورج "*Regensburg*" وهو مبشر فى إقليم سالزبورج "*Saluzburg*" ولقد عالج هذا الخطاب أيضاً الاستفسار عن عدد الحمير التى سمحت أنا إنوسنت الثالث للمبشرين باستخدامها فى حالة عدم النظام السائد بعد فترة الحرب الأهلية فى ألمانيا، وكذلك المشكلة المتعلقة بالتوكيلات والتحصيلات والعهدة التى يمكن أن يحددها المبشر على الأبرشية التى يزورها.

هنا تنتهى الرسالة الثالثة عشر ،،



الرسالة الرابعة عشر

تشريعات البابا إنوسنت الثالث فى مجلس اللاتيران الرابع من أجل الحملة الصليبية الخامسة حررت هذه التشريعات فى ٣٠ نوفمبر عام ١٢١٥م

صدر هذا المرسوم بشأن تعضيد الحملة الصليبية الخامسة، وترجع أهمية هذا المرسوم أنه يحث الأجيال القادمة من الصليبيين على التعاون والترابط والتآخى التى يؤمنوا بها.

ومن الملاحظ أنه صدر فى هذا المرسوم ضريبة عامة لمدة ثلاث سنوات، وتُعرف بضريبة العُشر على الدخول الكنسية.

وترجع أصول هذه الضريبة إلى صاحبها الذى قررها فى هذا المرسوم البابا إنوسنت الثالث عام١١٩٩م. ثم أوقف البابا هذه الضريبة عندما نتج عنها بعض المشاكل عام١٢١٣م.

المصدر :

Innocent III, P.L. CCVXI, Cols. 904 - 906

نص المرسوم:

إننا لنأمل ونتعشم ونتطلع بلهفة إلى تحرير الأرض المقدسة من أيد المسلمين(١)، وبناءً على نصيحة الحكماء من رجالنا، فإننا بناءً على درأيتهم بملابسات العصر والمكان وموافقة المجلس الكنسى المقدس أنه يجب على كل مسيحى فى كل مكان أن يكون على أهبة الاستعداد، لأن يتجمع كل المسيحيين فى اليوم الأول من يونيو فى مملكة صقلية.

وأمام هذا الوضع والضرورة الملحة قام البعض بالتجمع في بريينديزي، وآخرون في سيناي والمناطق المجاورة لها، كما أننا نعتزم أن نكون هناك شخصياً في الموعد المحدد.

وبناءً على نصيحتنا، وبفضل رعاية الرب والرسل المقدسين فإنه يمكن للجيش المسيحي الذى صار على أهبة الاستعداد أن يتقدم ويرحل. ويجب على أولئك الذين يرحلون عن طريق البر أن يهتموا بإعداد أنفسهم في الأوقات المحددة والمعلنة.

ويجب على هؤلاء أن يقدموا إلينا خططهم كيما نمنحهم رسول مناسب يقدم لهم النصيحة والمشورة والعون، كما أننا نبعث إلى أساقفة آخرين في الضواحي وبعض رجال الأكليروس في الجيش الصليبي أن يكرسوا أنفسهم للصلاة والابتهال وتعليم الصليبيين عن طريق العظات وتقديم الأمثلة لتكون نوراً أمام أعينهم ليهتدوا بها، ولا يرتكبوا آثاماً أو خطايا تغضب الرب وعليهم أن يخشوا سلطان السماء، ولو حدث ووقع الصليبيون في الإثم في أى وقت، فإنه بإمكانهم أن يعودوا في الحال ويعلنوا عن توبتهم بأجساد وقلوب خاشعة .

وعليهم أن يخضعوا لنظام معتدل في الملبس والطعام فلا يسرفوا، ويكفوا عن التنازع والتشاجر والتحاسد فيما بينهم، وبكل ما تحمل الكلمة من معنى أن يتجنبوا الحقد والضغينة ويتسلحوا بالأسلحة الروحية والمادية، فيمكنهم الدخول مع العدو في معركة في أمن وطمأنينة لثقتكم في الله وقوة السماء ولم تعتمد جرأتهم في القتال على قوتكم. ونحن نجيز ونخول رجال الدين التمتع بحقوقهم ثلاث سنوات أثناء إقامتهم في الكنائس إذ أنهم لا يفقدون أى شئ من حقوقهم من أجل تنفيذ هذا المشروع.

وخشية أن يحدث أى شئ يعوق أو يؤخر هذا الهدف المقدس فإننا نصدر أمرنا على نحو تام إلى كل أساقفة الكنائس كل واحد فى سلطاته بأن يقوم بتحذير وتقديم النصيحة إلى كل من تُسول لـه نفسه بعدم حمل السلاح، كما أن عليه أن يقنع هؤلاء بضرورة حمل الصليب وعدم التخلى عنه مرة ثانية، ولم يقتصر دور الأساقفة على إقناع الرافضين لحمل الصليب، بل عليهم أيضاً أن يبصروا الصليبيين الذين أخذوا الصليب ليفوا بنذورهم إلى السيد المسيح، إذ من الضرورى أن يقنع الأساقفة هؤلاء بضرورة الابتعاد عن أية حيلة أو خدعة ويحذروهم من إصدار قانون الحرمان ضدهم أو حتى ضد ممتلكاتهم، هذا باستثناء الذين صدر ضدهم قانون المنع والحرمان وذلك بسبب تأجيل نذرهم لسبب ما، ويكون هذا القرار من البابا نفسه.

وبالإضافة إلى ذلك، وخشية أن يهمل شئ فى هذه المهمة التى تمس أعمال يسوع المسيح، فإننا نأمر البطارقة ورؤساء الأساقفة والأساقفة والكهنة وآخرين، أن يكون جل اهتمامهم بمثابة الروح المحركة للمشروع، فدورهم هو الوعظ الذى يبعث الحماس من أجل الصليب.

كما أنه يجب أن نستميل الملوك والأدواق والأمراء وكل ماركيز والكونتات والبارونات والشخصيات من ذوى المكانة ليشتركوا معاً فى المدن الصغيرة والكبيرة والقلاع من أجل الآب والابن والروح القدس، والكل من أجل الرب الواحد الأبدى.

وعلى الذين لايستطيعوا أن يذهبوا بأنفسهم لمساعدة الأرض المقدسة أن يتبرعوا بأعداد كافية من الجند ومعهم نفقاتهم الضرورية التى تكفى ثلاث سنوات، وليعلموا أن هذا يكون ثوابه غفران الذنوب والآثام.

وقد قمنا بتسجيل هذا الأمر فى المرسوم، وأمرنا أن يرسل فى رسائل عاجلة حتى نحقق أعظم أمن وأعظم سلام.

ولم يقتصر غفران الذنوب والآثام على أولئك الذين يمدننا بالسفن، بل أولئك الذين يقومون على صناعتها أيضاً.

أما الذين يرفضون الاشتراك "فى الحملة" ولا يحبون سيدنا يسوع المسيح، فإننا سوف نصرح عن ثقة نيابة عن القديس بطرس الرسول، إذا لم يردوا علينا بشأن هذ المشروع فعليهم أن ينتظروا العقاب المروع فى الآخرة، هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم لا يؤمنون إلا بفكرهم الذى هو ضد يسوع المسيح ابن الرب، الرب الذى أعطى كل الأشياء بين يدى ابنه، هؤلاء الذين يرفضون خدمته، وهو الذى صلب من أجل ذنوبهم وآثامهم لإنجاح هذا المشروع، فهم فقط الذين يمثلوه شخصياً، وأن حياتهم تعتمد على دفاعه ومساندته لهم، وكانت دمائه هى سبب خلاصهم من الذنوب والخطايا.

وحتى لا نبدوا وكأننا نحمل أعناق الرجال أعباءً ثقيلة لا يمكن حملها والتى لا نوافق نحن أنفسنا أن نحملها ولو بأحد أصابعنا، فنكون مثل هؤلاء الذين يتكلمون ولكن لا يفعلون شيئاً.

وليكن معروفاً لدينا أننا نمنح ونعطى من ثرواتنا ٣٠,٠٠٠ ثلاثون ألف بيزنت من أجل هذا المشروع، هذا فضلاً عن النفقات والسفن التى نمنحها للصليبيين من روما وجيرانها، كما أننا نخصص ٣,٠٠٠ ثلاثون آلاف قطعة فضية لكل سفينة من الصدقات التى تبرع بها بعض المخلصين، وأن البقية الباقية من هذه الصدقات قد وزعت بأيدى أمينة على المحتاجين، وأنفقها بطرق بيت المقدس، صاحب الذكرة العطرة وأيضاً سادة الداوية والاسبتالية فى الأرض المقدسة.

وكانت هناك رغبة ملحة لدى أساقفة الكنائس الآخرين وكل رجال الدين فى الاشتراك فى هذا المشروع، وقد قررنا بعد موافقة المجلس العام أن كل رجال الدين فى المجلس الأكليرى، ومن هم دونه من الأساقفة ضريبة العشر "ضريبة العشر هى جزء من عشرين جزء من الدخل الكنسى لمدة ثلاث سنوات لمساعدة الأرض المقدسة، ونحن قد قررنا أيضاً أن يعهد إلى هؤلاء بهذه المهمة باستثناء فقط بعض رجال الدين الذين يستحقون فى الواقع أن يعفوا من هذه الضريبة السالفة الذكر، ويعفى منها كذلك الذين لازالوا فى السجن، ولكن عليهم أن يحملوا شارة الصليب".

ومن جهة أخرى فنحن وأبناؤنا الكاردينالات فى الكنيسة الرومانية المقدسة سوف نقوم بدفع ضريبة العشر كاملة "*Tith*"، وعلى الجميع معرفة أن عقوبة الحرمان سوف تصدر ضد أولئك الذين يتهربون من آداء هذه الضريبة خاصة ضد أولئك الذين يلجأون إلى أساليب الحيل والخداع والغش فيما يتعلق بهذا الموضوع.

ومن المناسب أن يتمتع الإمبراطور بحقوق خاصة والذين يؤمنون بعدالة السماء، ولكى تستمر الحملة العسكرية على نحو أفضل طوال العام يجب أن يعفى الصليبيين من الرسوم أو الضرائب أو الأحمال الثقيلة والأعباء التى لا تطاق.

وعندما يرتدى الصليبيون شاره الصليب فإننا نقوم بحماية أبنائهم وممتلكاتهم باسم بطرس المقدس وباسمنا نحن، ونعلن أن هؤلاء الأبناء وأيضاً ممتلكاتهم ستكون تحت رعاية رؤساء الأساقفة والأساقفة وأساقفة كل الكنائس، حتى يحيا القائمون بهذه المهمة على نحو أفضل، وتظل تلك الممتلكات باقية لاتمس بسوء أو يتحرش بها إلى أن نعرف على وجه التحديد إذا كان صاحبها قد مات أو سيعود الى وطنه.

وعلى النقيض من ذلك فإن أولئك الذين يتحدون هذا العمل سوف تقوم الكنيسة بتوجيه اللوم لهم وتوبيخهم.

كما أننا نعلن من ذلك المكان، أنه إذا كان هناك إنسان ملتزم أمام الإيمانات الصارمة بتسديد ما عليه من ربا، فإننا بنفس الصرامة نحذر ونجبر المرابين "أصحاب الديون" أن يحجموا ويتخلوا عن رباهم الفاحش للمدينين ويكفوا عن تنشيط هذا الربا الفاحش.

ولو أن أحداً من الدائنين أجبر الدائن على أن يدفع رباه بالقوة، فإننا نقوم بتوقيع العقوبة عليه ونجبره على أن يعيد إليه هذا الربا مرة ثانية، وينسحب هذا على اليهود إذ أننا نجبرهم عن طريق القوى العلمانية على أن يعيدوا الربا إلى كل المسيحيين المخلصين ويتبرأوا منهم عن طريق توقيع عقوبة الحرمان الكنسى حتى يعفوا ويصفحوا عنهم.

كما أنه يجب على الأمراء العلمانين أن يمنحوا هؤلاء فرصة مناسبة، خاصة أولئك الذين لا يستطعون أن يدفعوا ديونهم لليهود فى الوقت الحاضر.

وحتى بعد عملية الرحيل على هذا النحو، وحتى لا تتعرض ديون المرابين للضرر، فإنه يجب أن نكون على علم بها أو معظمها، إلى أن يظهر لنا من سيموت ومن سيعود إلى الوطن وبذلك يمكن لليهود أن يحتفظوا بحسابهم الذى أسلموه تحت رعايتنا فى أمن وأمان.

وليعتبر اليهود أن أموالهم لدى المدانين على هذا النحو وطوال هذه الفترة أموالاً مدخرة، وأن تأجيل عملية الدفع لهذه الأموال إنما لأجل المصلحة العامة.

ومن الآن فصاعداً فإن الأساقفة فى الكنائس الذين لا ينصفون الصليبيين وأسرهم سوف يتعرضون لعقاب شديد.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن قراصنة البحار كانوا يشكلون مصدراً لإعاقة تقديم المساعدة للأرض المقدسة، من خلال ممارستهم أعمال السلب والنهب لأولئك الذين يتوجهون من وإلى الأرض المقدسة.

وعلى ذلك فإننا نصدر أوامرنا بالمنع والحرمان اللامحدود لأى شخص يركن إليهم أو يعقد معهم أية إتفاقية بيع أو شراء، أو يرتبط بقوانين مدنهم أو مقاطعاتهم، إذ ندعوهم ليعودوا إلى أوطانهم، ونكبح جماحهم ونحول بينهم وبين ارتكاب الخطيئة.

ومن جهة ثانية فإننا نأمر أساقفة الكنائس أن يتولوا رعاية أبنائهم وممتلكاتهم عندما يبدوا استعدادهم إلى العودة لفعل الخير الذى لم يقل شيئاً عن رعايتهم أو تبنى مصلحتهم.

كما أن الإنسان الذى يجاهر بعدم تحدى المجرم باعتباره واحداً فى جماعة سرية، لاشك فى أنه واحداً منهم ويستحق من جانبنا قرار بعقوبة الحرمان الكنسى واللعن ويعتبر هؤلاء من المسيحيين غير المخلصين، وهو واحد من أولئك الذى ينجرون فى الحديد والأسلحة والأخشاب وبناء سفن صغيرة أو كبيرة وبيعها للمسلمين ضد مصالح المسيح نفسه، والشعب المسيحى معاً.

كما أن قرارنا بالحرمان الكنسى كذلك يكون ضد قادة السفن أو حتى الذين يقدمون نصيحة أو مشورة أو أى مساعدة تختص بهذا الموضوع مثل آلات الحرب والحصار أو أى شئ آخر للمسلمين، وتكون عقوباتهم مصادرة أملاكهم ثم يصيروا عبيداً لمعتقليهم، ونحن نصدر أمرنا بالطرد جهراً كل يوم أحد والعيد الدينى لكل جماعة من هذا النوع فى كافة المدن البحرية والتجارية، ومثل هؤلاء الذين صاروا عبيداً لا تطلق حرياتهم إلا إذا أرسلوا كل ممتلكاتهم الملعونة التى استولوا عليها من أجل مساعدة الأرض المقدسة حتى تتساوى مع ما اقترفوه من جرم وآثام.

وفى حالات عدم القدرة على الدفع، فإن وسائل أخرى سوف تتخذ لعقابهم حتى لايتجرأوا على ارتكاب مثل هذه الوقاحة مرة ثانية. علاوة على ذلك، فإننا نصدر أوامرنا بتوقيع عقوبة الجُرم على كل المسيحيين الذين يرسلون أو يرحلون بسفنهم إلى أراضى المسلمين الذين يعيشون فى الشرق، ويكون ذلك مدة أربعة سنوات قادمة، ولتكون النتيجة هى توفير عدد كبير من السفن تخصص لنقل الراغبين فى الذهاب لمساعدة الأرض المقدسة. وإذا ارتد أحد عن المنطق وعاد إلى مساعدة المسلمين فإنه سيكون عمل تافه وحقير ونمنعهم بالقوة ونصدر ضدهم عقوبة الحرمان مدة ثلاث سنوات، لأن هذه الفترة هى فترة خطيرة فى التجهيز والإعداد، ويكون عملهم بمثابة أعظم جرم وإعاقة فى طريق أعمال الصليب.

ولكى يتحقق أعظم نتيجة ضرورية لهذا المشروع، ولكى يعيش كل الشعب المسيحى فى كافة الإمارات فى سلام كل مع الآخر فإننا نصرح وننصح بضرورة عقد مجمعاً كنيساً عالمياً يتحقق فيه السلام فى كافة أرجاء العالم المسيحى على الأقل مدة أربعة سنوات، إذ أنه بهذه الوسيلة سوف يترسخ السلام بشكل تام ودائم على أيدى الأساقفة وأساقفة الكنائس وأن توقع الهدن التى لا تنتهك حرماتها أبداً.

وإذ نظر أحداً إلى هذا الأمر بسخرية فإنه سيخضع لعقوبة الحرمان شخصياً وكذلك ممتلكاته.

وإذا لم يتحول عن الحقد والكره والأذى فإنه فى هذه الحالة لايجب أن يتمتع بالسلام السالف الذكر.

وإن هؤلاء الذين أبدوا إستياءًا تجاه القانون الكنسى عليهم أن يبادروا بإبداء الاحترام ولو بشئ يسير يتمثل فى التعبير بالخوف ليس من سلطة الكنيسة ولكن من قبل قوة الكنيسة التى تعتبرهم من العلمانين وأنهم شعب معوق لأعمال المسيح المصلوب من أجلهم.

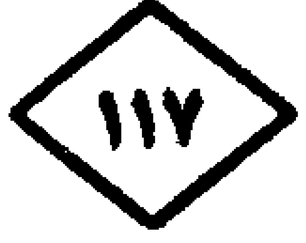
وأنـه لمـن المعلـوم لدينـا أن رحمـة الـرب وقـدرة اللــه وسـلطان الرسـ المباركين بطرس وبولس هى القوة والرباط المتين وهـى المنـع أيضـاً، لأن اللـه هـ مانحنا هذه وتلك.

وعلى الرغم من أن هـؤلاء قد أسلموا أنفسـهم للتفاهـة والحقـارة وكـانـ بالتـالى علـى حسـاب غفـران كـل ذنوبهـم، والتـى اعترفت بهـا شــفاههم وقلوبهـ المتحسرة، فإننا رغم هذا، نعد هؤلاء بالخلاص الأبدى عندما يشتركون فـى الحملـة العسكرية.

أما الذين لم يشتركوا بأنفسهم فى الحملة العسكرية فإنه علـى الأقل، يجـب أن يرسلوا وعلى نفقتهم الخاصة أناس مناسبين بما يتلائم وأسباب معيشتهم.

وشبيهاً بهم أيضاً الذين يشتركون بأنفسهم إلى جانب نفقاتهم الأخرى، فإن هـؤلاء وهـؤلاء سـوف نمنحهـم غفرانـاً كـاملاً لكل آثـامهم، وتكون أموالهـم التــى يبذلونهـا صدقـات تخلصهـم مـن الذنـوب والآثـام وتطهرهـم بقـدر إخــلاص وعمـق اشـتراكهم ومسـاعدتهم، وبقـدر مـا أعدوا أنفسـهم للقتـال ومـا قدمـوه مــن أمــوال لمساعدة الأرض المقدسة، أو بقدر ما قدموه من نصيحـة أو عمـل مناسـب أيضـاً. ويقوم المجلس الكنسى العالمى بتقديم المساعدة لكل أولئـك الذيـن يعلنـون طـاعتهم من أجل هذا العمل، ويسعى بإيمان وصدق من أجل الخلاص.

هنا تنتهى الرسالة الرابعة عشر ،،



المصادر والمراجع

(١) ذُكرت في النص باسم "*Infudel*"

ملحق

وصايا لاثنين من الصليبيين فى الحملة الصليبية الخامسة

مُقدمة الوصيتين :

إن وصايا الصليبيين نادرة، وأولى هاتين الوصيتين هى وصية مواطن من بولونيا "*Bolognese*" بعد سبعة أسابيع من سقوط دمياط، على الرغم من أنه كان واضحاً أن المدينة لم تُحتل بعد، كانت هناك استعدادات بالنسبة للحملة ذاتها ومصالح للجماعات الدينية وميل هذا المواطن للتنازل عن المنازل الخاصة به فى الشرق اللاتينى، ليؤكد مكانة زوجته التى لازالت فى المعسكر الذى شارك فيه مع رفاقه.

أما الوصية الثانية فقد أوصى بها أمير رودس "هنرى الأول" الذى مرض عام كامل، وكان بالوصية بعض اللمحات الشيقة، فقد كتب هذه الوصية فى اسبتالية القديس يوحنا فى عكا، خاصة أمير هذه الجماعة الدينية لما كان يتمتع به من مكانة دينية. ويفسر هذا الترتيبات الخاصة بالاسبتاليين واشتراكهم فى الحملة الصليبية الخامسة، وكذلك شقيقاتهم جماعة الداوية "المعبد". وتتضمن نهاية الوصية شرحاً مفسراً عن وفاء أسرة هذا الأمير فى جنوب فرنسا من خلال مندوبى الاسبتاليين بناءًا على رغبته ليستغل التسهيلات العالمية للوصية وليطلع الوطن على قيمة موارده فى الشرق.

الوصية الأولى

وصية "*Barzella Merxadrus*" فى معسكر دمياط
فى الثالث والعشرين (٢٣) من ديسمبر سنة ١٢١٩م.

المصدر :

L.V. Savioli Annali Bolognesi

نص الوصية :

فى ٢٣ ديسمبر عام ١٢١٩م كتب "*Barzella Merxadrus*" وصيته، وهو مواطن صليبي من بولونيا، وهو فى فراش الموت فى الجيش والمعسكر المسيحى فى دمياط، كتب وصيته على هذا النحو <u>أولاً</u> : قد تركت خمسة دنانير "*besants*" "بيزنت" من أجل راحة روحى وتنفق على جنازتى ودفنى والتراتيل الدينية، وقد وكلت الكاهن "*Giles*" وزوجته "*Guiletta*" وعمه "*Rainald Maldinatus*" عن تركتى، وقد تركت سلاحى ودرعى ومعطفى البحرى الخاص بى والقبعة إلى اسبتالية الألمان، إذ أن أمنيتى أن أقبر وأدفن هناك.

كما أننى أقوم بترك كيسين من البسكويت إلى رفيق فى القوات البحرية يدعى "*Michadnas*" ومعهما عبوتين من الدقيق وزجاجتين من الخمر وقطعاً من اللحم وسروال قصير وقميص وستة بيزنت من أجل الخبز والمشاركة فى الطعام، وليأخذ كل هذه الأشياء إلى ممتلكاته فى الجيش من أجل راحة روحى. كما أقوم بترك دينار "بيزنت" إلى القس "*Giles*" لترتيل التراتيل ودينارين إلى "*Renale*" وثلاثة بيزنتات إلى كل رفاقه والجانب الخاص بى من الخيمة إلى

نفس الرفاق وزوجتى التى على قيد الحيـاة أيضـاً "*Guiletta*" كمـا أحـذر مـن عـدم التعدى على حقوق زوجتى فى الخيمة وأثاثها حيث يجب أن تستمتع بها كاملــة فـى سلام طالما هى فى المعسكر لتستقر وتعيش فى حقها الموروث. وأقوم كذلـك بـترك دينارين إلى "*James*" من "*Urgine*" وهو كـاتب العقـود، وبـيزنت إلـى اسـبتالية القديس لزاريوس "*St. Lazarus*" وآخر إلى اسـبتالية القديـس يوحنـا. "St. John" كما أخلف أيضاً خمسة بيزنـتات آخرين إلـى القـس "*Giles*" لراحـة روحـى، ثـم أن زوجتى هى الوريث الوحيد لكل أمتعتى الثابتة والمتحركة وجميع الحقـوق والمنـافع للمكتب البحرى فى الجيش وذلك الجزء من دمياط ذاتها والغنائم التى يمكن أن تأتى لى بأية وسيلة مـن الأسلاب الموجـودة فـى المدينـة. وقد جعلـت أمـى ـ *Be tha* وآخاهـا اللـورد "*Blaise*" وريثـين أيضـاً لكـل الأمتعـة الأخـرى الكائنـة فـى بولونيـا وضاحيتها وهذه هى آخـر وصايـاى. فـإذا لـم تتحقـق تلـك الوصيـة حسـب القـانون "قانون الوصايا" فنتركها تتحقق على الأقل بناءًا على قانون ملحقات الوصاية على أن تتحقق بحرية.

الوصية الثانية

من الأمير هنرى أمير رودس "Henry of Rodez" وهى ملحق لوصية فى عكا "*Acre*" فى الفترة من ١٦ـ٢١ أكتوبر للعام ١٢٢٢م

المصدر :

Cartulaire general de L' Ordre de Hospitalias de St. Jeam de Jeru Salem, ed.J. Belauille, Le Reulx, Paris,1897.

نص الوصية :

ليكن واضحاً للجميع أن هنرى الأول أمير رودس على الرغم من كونه مريضاً وفى حالة خطرة، إلا أنه يتمتع بعقل سليم ويتمتع أيضاً بسلطة تخول له ترتيب هذه الأشياء، وإنى تمنيت وأمرت بتلك الوصية التى كتبتها فى أرضى لتكن ثابتة وفعالة وأتمنى أن تحقق كل الأشياء التى تحتوى عليها طبقاً لقانون الوصايا.

واننى اضيف واتمنى الآتى : أن أترك جسدى فى استبالية القديس يوحنا فقط لأننى كنت أخاً لنفس الكنيسة، وأترك أيضاً وأعطى لنفس الإسبتالية قرية "*Canet*" وهى قريتى بكل ملحقاتها حباً لله وفى الله وفداءاً لآثامى وخطايا السابقين على اللاحقين بى فقط، لأنها تخصنى وقد ملكتها من قبل، وهى الآن ملكى. وأترك لنفس الإسبتاليين كل عقاراتى"*Frontignan*" فى "*mansi*" كما أخلف لها أيضاً كل ما أملكه فى "*La Bastid pradines* " ويكون للإسبتالين من الآن فصاعداً الحرية فى امتلاك كل ممتلكاتى دونما أى نزاع، كما أترك للإسبتالية الرجال والعقارات التى أمتلكها هناك سواء الملحقة بها أو حولها من عقاراتى حول "*Canaberes*" وكل عقاراتى فى "*Bouloc*" وما حولها فى "*La Bastide*" وبالإضافة إلى ذلك أترك لنفس الإسبتالية نصف الأرض التى قمت بشرائها. كما

أننـى أتـرك لإدارة المعبـد أحـد خيولـى وهـو الحصــان الـذى امتلكـه وليـم روكلـير "*William of Roquelaure*" وكـذلك القمـح أيضـاً، أمـا بالنسـبة للنزاع الـذى نشـب بينى وبيـن جماعـة الداويـة، فإننـا نرغـب فـى التصـدق علـى كـل شـئ قالـه "*John of Fontarie*" ويقوم ميرون أف لاروش "Miron of La Rochre " بإنهـاء النزاع بناءً على رغبة جماعة الداوية وأترك لإدارة الداوية الكلأ الذى امتلكه حـول "*St.Martine de Linouze*" وملحقاتهـا. وبالإضافـة إلـى ذلـك أريـد أن تعـرف الأميرة وابنى، وكـل اللاحقيـن بـى بهـذه الوصيـة، وأذكـر أننـى سـررت جـداً بنظـام الداوية لأنه وهبنى كثيراً من الخدمات فى هذه الحياة وتلـك الأمـاكن. ولذلـك فـإننى أطلب من الأميرة والابن واللاحقين من بعدى أن يدافعوا ويقوموا بحراسـة وحمايـة الوصيـة التـى أقامهـا المعبـد بقـدر استطاعتهم؛ وبالإضافـة إلـى ذلـك أتــرك لإدارة الإسبتالية كل أمتعتى وخيولى وكل ما أملكه هنا، ولابد أن يفى سيد الإسبتالية بذلـك عن طريق رسله إلى عائلتى بمبلغ يتفق عليه فيما بينهم، وإذا كـانت قيمـة أمتعتـى أقل مما قُدر أتمنى وأطلب من سيد الإسبتالية فى هذا الأمر أن يدفعـوا لأسـرتى مـن أمتعـة لإدارة الإسبتالية بالطريقـة التـى يتـم الإتفـاق عليهـا. أمـا بالنسـبة للنفقــات والمصروفات التى أنفقتها إدارة الإسبتالية علـىَّ أو دفعتهـا لأسـرتى أتمنـى أن تـرد كاملة إليها من أرضى وكل مواردى، وأطلب مـن الأمـيرة ومـن ابنـى أن يعيـدا دفـع النفقات كاملة التى أنفقتها الإسبتالية مقابل الخدمات العظيمـة التـى قـامت بهـا مـن أجلى فى سورية، من بعثات ورسل وكل النفقات والمصروفات التى أنفقتها بالنيابـة عنى وعن أسرتى، وأكون راضياً وممتنـاً بتلـك الوثيقـة الحاليـة، وأتمنـى أن تحفـظ ثابتة دون تغيير أو تبديل ويتحقق ما فيهـا للأبـد طبقـاً لقـانون وملحقـات الوصايـا، وإذا لم تكن شرعية حسب قانون ملحقات الوصايا أتمنى أن تكون شرعية تحت أى قانون آخر مهما كان لكى تصير حقيقية.

هنا تنتهى الوصيتان

تصريحات إنوسنت الثالث
والدعوة للحملة الصليبية الخامسة فى الفترة من ١٢ـ ٢٩ إبريل١٢١٣م

مُقدِّمة النص

فى أثناء النصف الثانى من شهر إبريل وأوائل مايو عام١٢١٣م ، كانت كل مقاطعات المملكة اللاتينية تقريباً قد تلقت رسائل أعظم بابا صليبى، وهو إنوسنت الثالث. إن شهرة هذا الخطاب ترجع إلى تلك العلاقات والسمات البارزة للمجمع البابوى التبشيرى الذى يحتوى على العديد من المقالات التى رجعنا فيها إلى المصادر والتى نلتقى ونتفق معها فى محبة مع الرب. إن الحملة الصليبية لهى اختبار إلهى، وأن الأرض المقدسة باعتبارها إرث السيد المسيح، تلتقى وتتساوى معاً فى الأمتيازات والحرمان والطقوس الدينية. فهى تشتمل معها من حيث الأهمية فى البيان الجديد فى تنفيذ النذور وأن منصب الحبر الأعظم البابا إنوسنت الثالث الذى بذل جهداً كبيراً فى تنظيم تلك الحملة الصليبية التى قامت أساساً مع النذور.

ومع هذا، فإن إنوسنت الثالث قد أصرّ على أن يقوى بالفعل تلك الحملة على هذا النحو، ولم يستسلم. كما قام بتأجيل منح أو استبدال أى فعل يؤدى إلى منح الغفران فى مكان هو فى الأساس قد أدى فيه النذور. فإنفاق الأموال من أجل الاسترداد يعادل أو يساوى المبلغ الذى سينفقه الصليبى من أجل الرحيل بالفعل "أو يقال ما أنفقه الصليبى فى الواقع من أجل الموت".

إن ما أعلنه إنوسنت الثالث فى خطاب إلى المبشر "الواعظ" والنواب النشيطين فى فرنسا فى ذلك الوقت الذى سبب فضيحة قد أوحى بسياسة جديدة طبقاً لكل واحد لا يشجع على حمل الصليب، وسوف تُرد النذور الغير صالحة من الأموال كعقاب، إذ أنها كانت تشكل جانباً كبيراً من التمويل المالى للحملة الصليبية.

وحيث انتهت مؤقتاً الحملة الصليبية فى كل من أسبانيا وجنوب فرنسا.

وقد تضمن المنشور البابوى إلى جانب الأوامر فى المجمع الكنسى العام "مجلس اللاتيران الرابع"، خضوع المجتمع المسيحى لتنفيذ قرارات المجلس من اجل إنجاح الحملة الصليبية. وفى نفس الوقت وضع البابا أساسا لنظام محكم من أجر الوعظ بالصليب وقد استخدم "*Quia Maier*" كمصدر للوعظ مرشد للوعاظ، وفى نهاية هذا المصدر قمنا بطبعه وإرساله إلى مقاطعة التريير" *Trier*" وكذلك مقاطعة مينز.

المصدر:

G. Tangl ; Studien Zum Register; Innocent III (Weinar, 1929), PP. 88 - 97

النص :

ولأنه فى هذا الوقت يكون أكثر إلحاح وإجباراً عن أية فترة سابقة عليه فى مساعدة الأرض المقدسة التى صارت فى حاجة ماسة للمساعدة ولأننا نأمل أن ترسل المساعدات إليها، فهى أكثر حاجة إليها من أى وقت مضى. فلتستمعوا إلى الصراخ والعويل، ولننادى على السيد المسيح الذى من أجلنا تألم عندما حمل الصليب، وعندما تصبح مطيعاً للرب، قدم الموت على الصليب. وأصرخ بأعلى صوتك حتى يسمعك الرب، ويقول لو أن أى إنسان سيأتى من بعدى عليه أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى.

ولو أن أى إنسان يرغب فى أن يتبعنى إلى العرش وفلندعه ايضا يتبعنى إلى المعركة، والتى تكون بمثابة اختبار لكل إنسان. وبعضن قدرة الرب. عندما

يرغب فى أن يمنع تلك الأرض أن تقع فى أيدى العدو. وعندما يرغب فى ذلك فإنــه يستطع بسهولة أن يحررها من أيدى الأعداء، وعندئـذ، فإن أحداً لا يستطع أن يقاوم رغبته، ولكن عندما يذهب الضعف خلف كل القيود فإن الحب فى قلوب بعض الرجال يكون قد فتر. لقد منحهم فرصة لكى يفـوزوا بـالخلاص، حتـى يقـاتل هـؤلاء الذين يقاتلونهم بإخلاص من أجله حتى يتوجوا بتاج السعادة.

وأن الإنسان لكـى يحـرر الأرض المقدسـة ويحقـق عظمـة التـاج، عليـه أن يتحمل الآلام المبرحة من أجل الشهادة، وأن الذين يموتون بسبب أعمالهم الشريرة، التى ارتكبوها، بالوقوع فى الشهوات والإغراءات الدنيوية ! مما آلم السيد المسـيح منذ القدم، وأن هـذه فرصـة لهـؤلاء عندمـا يقومـون بالمسـاعدة مـن أجـل استرداد الأرض المقدسة فيخلصهم المسيح مـن ذنوبهـم وآثـامهم التـى ارتكبوهـا. وأن مثـل هؤلاء أولئك الذين يطردون خارج مملكتهم بيد الأعداء، ولـم يصروا علـى الدفاع عنها فيكونوا خونة وغير مخلصين أو أمناء، مما يعرضهم هذا السـلوك إلـى نهايـة محزنـة ومؤسـفة، إذا لـم يخـاطروا مـن أجلـه ويجـازفوا بممتلكـاتهم ولكـن أيضـاً بأنفسهم!

وفى الواقع، فإنه فى مثل هذه الوسيلة "الطريقـة" فـإن ملـك الملـوك السـيد يسوع المسيح الذى منحكم الجسد والروح وكل الآخرين أشياءًا حسنة، بسبب تقديم ممتلكاتهم وأنفسهم التى تجعل الرب لا يفكر فى طردهم خارج مملكته،أما أى إنسان يخفق فى تقديم خدمة لسـيده يسـوع المسـيح فـى هـذا الوقت فإنـه يسـتحق اللـوم وتلعن كل خدمة أو خدمات قدمها، بشكل خطير جداً.

ما الذى يظن فاعلة ذلك الإنسان أن يفعله من أجلك هل تفعل ذلك أيضاً من أجلهم؟ أوربما أنك لاتعرف أن الألاف من المسيحيين قد وقعوا فى نير العبودية وزوج بهم فى السجن وتعرضوا لشتى ألوان التعذيب بأيديهم.

وفى الحقيقة، تعرض معظم الشعب المسيحى فى أقاليم المسلمين للسلب والنهب حتى عصر جريجورى المبجل وعندئذ ظهر النبى الكريم "محمد" (١) الذى أغرى العديد من الرجال عن طريق جذبهم وإغوائهم بأمور دنيوية ورغبات مزيفة، ولكن على الرغم من هذا، وعلى الرغم من خيانته وغدره حتى الوقت الحاضر، إلا أننا مع ذلك نثق تمام الثقة فى السيد "المسيح" الذى منحنا بالفعل شارة "علامة" على أن المستقبل لنا، وأن النهاية لهذا العمل الحقير (٢) سوف تكون قريباً، وأن هذه الجماعة طبقاً لوحى القديس يوحنا سوف تنتهى خلال ٦٦٦ عام.

والتى انقضى منها بالفعل حوالى ٦٠٠ عام. وبالإضافة إلى هذه البشارة العظيمة السالفة الذكر إن المسلمين الخونة ومنذ عهد قريب قاموا ببناء حصن قوى فوق تل طابور، وهو المكان الذى أوحى السيد المسيح فيه إلى حوارييه رؤيا ستقبله العظيم، ويعتقد المسلمون أنهم بهذا الحصن الحقير سوف يسيطرون ويستولون على مدينة عكا القريبة منهم جداً، ويقوموا بعد ذلك بالاستيلاء على الأرض المتبقية دون عائق أو مقاومة. ولهذا اشحذوا وأيقظوا أنفسكم. وليوجه ويحول معظم الأبناء والأعزاء سهامهم، وليتبارى الأخ مع أخيه ويتصافحوا فى سلام وحب ويتزاملوا. زودوا أنفسكم بخدمة المسيح المصلوب ولا تترددوا فى المخاطرة بممتلكاتكم وأنفسكم من أجله فهو الذى أسلم نفسه وحياته وذرف دماءه من أجلكم، إنه يساوى وبشكل محدد كل ما يملكونه، أنه لو أنك ندمت بصدق وإخلاص فإنك سوف تنجز وتحقق راحة أبدية كمكسب وربح أفضل من هذه الحياة الدنيا، ومن أجل هذا فإننا نثق فى رحمة وقدرة الرب وسلطة الآباء الموقرين بطرس وبولس،

وبذلك الرباط القوى وتلك الحرية، فإن الرب يشترك معنا فى الحرب، وعلـى الرغم من هذه التفاهة، فإنه يخول كل هذا إلـى العامل شخصياً أو علـى نفقـاتهم غفـران ذنوبهم والتى يعبرون عنها بصدق شفاههم والتـى تدل علـى نـدم قلوبهـم وتكـون مكافأتهم هى الوعد العظيم بتخليصهم بشكل أبدى

أما الذين لم يشتركوا شخصياً فى الحملة العسكرية، فعلـى الأقل عليهـم أن يرسلوا أناس مناسبين على نفقاتهم الخاصة طبقاً لأحوالهم وأوضاعهم فـى الحيـاة، يكون هـؤلاء مشـابهين تمامـاً لأولئك الذيـن يشتركون بأنفسـهم حيـث تغفـر جميـع ذنوبهم وآثامهم.

نحن أيضاً نتمنى إلى كل أولئك الذيـن يهبـون حصـة مناسـبة مـن أمتعتهـم ومؤنهم لمساعدة تلك الأرض أن يكون لهم نصيب مـن غفـران الذنـوب بنـاءً علـى القدر التى قدموه من المساعدة وعمق إخلاصهم لها.

وهنا تنتهى تصريحات إنوسنت الثالث فى الحملة الصليبية الخامسة

الخاتمـــــة

عندما اعتلى البابا إنوسنت الثالث العرش البابوى سنة ١١٩٨م، كان الغـرب الأوربى لم يلعق بعد جراحه الدامية منذ استرداد صلاح الديـن الأيوبـى بيـت المقـدس سنة ١١٨٧م من الصليبيين (١).

وعندما تولى إنوسنت الثالث عرش البابوية كان عمره سبعة وثلاثين عامـاً فقط، أى أنه كان صغيراً على البابوية بشكل واضح. ورغـم هـذا دأب علـى الدعـوة الحارة لحرب صليبية جديدة يشنها الغرب المسيحى علـى الشـرق الإسـلامى (٢). وأصدر من أجل ذلك مرسومه البابوى (٣) الذى اقترح فيه على الدول الأوربيـة أن يهادن بعضها البعض الآخر مدة سبع سنوات (٤) تكرس خلالها هذه الدول جهودها لغسل عار حطين. وكان يتمتع بطاقة غير محدودة، وقـدرة فكريـة عاليـة، ومواهـب خارقة فى الزعامة والإدارة. فقـد كـان مـن رجـال القـانون الكنسـى البـارزين، كـان يحتمل أن يحرز سمعة كبيرة كلاهوتى لو كانت لديه فسحة مـن الوقـت، أو كـان بـه ميل إلى هذا. وكان على وعى تام بالمشكلات التى تواجهها البابوية فى كـل جـانب. ولم يكن يخالجه شك فى قدرته على إيجاد الوسائل لمعالجتها. وهذا مـا جعل هيئـة الكاردينالات تختاره دون سـائر الشيوخ الشـائبين، وأن أسـاس جديتـه هـو أسـاس اختياره (٥). إن أحداً من البابوات لم يستطع أن يخفى مثله ببالغ المهارة الأهـداف الحقيقية للإدارة والبلاط البابوى تحت ستار الورع والتقوى (٦). ولم يستطع أحد أن يبرز مثله ببالغ الإقناع كل خطوة دبلوماسية يخطوها كاهن الرب الأول.

وليس عبثاً أن تعلم إنوسنت الثالث فـى سنوات شبابه فـى جـامعتى بـاريس وبولونيا (٧).

كان البابا إنوسنت الثالث شديد التلهف لضرب المسلمين، فدشن بابويته بالدعوة لحملة صليبية، كانت صيحة التجمع فيها ذلك النداء المحبب إلى نفوس جمهور المسيحيين الأوربيين وهو "بيت المقدس" الذى من أجله كانت الحملة الصليبية الأولى (٨) ثم كانت الحملة الصليبية الثانية بسبب الخوف عليه (٩) ثم كانت الحملة الثالثة من أجل دفع ما عرف بالخطر الصلاحى (١٠).

ويلاحظ أن إنوسنت الثالث فى سبيل تحريك أوربا نهج سمت أربان الثانى منذ مائة سنة من قبل، فقد أراد كلاهما أن تكون الحرب بابوية خالصة حيث ركز على إثارة الشعوب المسيحية الأوربية (١١).

وإذا كان البابا أربان الثانى قد تجاوز الأباطرة والملوك والأمراء وتناساهم عمداً (١٢)، فإن إنوسنت الثالث الذى كان رجلاً ألمعياً مثقفاً فى اللاهوت المسيحى كان يدرك أن حاجته الملحة فى حشد حملة لتحقيق دعوته الصليبية يتطلب أن يسود الهدوء جبهة الملوك والحكام، ـ وهو ما عرض وقدم له الباحث فى هذه الدراسة ـ ومن ثم كاتبهم مكاتبة المولى للتابع والسيد للمسود وصاحب اليد العليا على من دونه، ذلك لأنه كان يرى أن البابوية هى السلطة العليا فى العالم وأن بقية الحكام أباطرة وملوكاً وحكاماً دونها ويستمدون منها قوتهم فى الحكم (١٣).

لقد توصلت الدراسة إلى أن الهدف الرئيسى للبابا إنوسنت الثالث إقامة سيادة أو زعامة للكرسى البابوى بصورة تامة على عموم العالم الإقطاعى فى الغرب والشرق على السواء (١٤)، وهذا الهدف بالذات هو الذى حدد الجهود العملية والسياسة الصليبية التى بذلها البابا إنوسنت الثالث الذى لا يعرف الكلل أو الملل، وليس هناك مجالاً للشك فى أن البابا إنوسنت الثالث أخضع الاعتبارات الدينية للمصالح السياسية (١٥).

وقد توصلت الدراسة إلى أن الفكرة الصليبية كانت مسيطرة تماما على عقل هذا البابا العنيد، الذى بذل فى سبيل ذلك قصارى جهده لإحياء المشروع الصليبى القديم الذى فترت فيه حماسة المسيحيين فى الغرب، خاصة بعد هزيمة اللاتين فى حطين ١١٨٧م، رغم أن الأوضاع السياسية للعالم الإسلامى فى المشرق العربى كانت مشجعة تماماً على استمرار الحملات الصليبية إلى المشرق (١٦).

إذاً كانت الحملة الصليبية منذ بادئ بدء جزءاً مكوناً فى غاية الأهمية من أجزاء البرنامج الشمولى للبابا إنوسنت الثالث، بل طوال مدة حكمه البابوى بذل جهوداً لإنجاح الحملات الصليبية وما يكاد ينتخبه الكاردينالات الذين تجمعوا فى دير "ست إندراوس" للكرسى الرسولى حتى وجه إلى الغرب نداءً مدوياً دعا فيه إلى القيام بحرب صليبية جديدة ضد المسلمين بدعوى تحرير الأرض المقدسة - التى قدسها السيد المسيح نفسه بحياته الأرضية (١٧).

وكانت جميع النداءات التى وجهها البابا إنوسنت الثالث اللاحقة إلى الكاثوليك مفعمة بهذه "النغمات الربانية" (١٨)؛ ولكن الأحداث بينت أن الأهداف السياسية كانت دائماً تشغل المرتبة الأولى بالنسبة للبابا إنوسنت الثالث وقوامها توسيع ممتلكات الكنيسة الرومانية فى الشرق (١٩) وتعزيز جبروت كاهنها الأول وحبرها الأعظم (٢٠).

وتوصلت الدراسة أيضاً ومن خلال مجموعة الوثائق البابوية أن إنوسنت الثالث لم يضن بالفصاحة والبلاغة لأجل تنظيم الحملة الصليبية، فإلى فرنسا وألمانيا وانجلترا وأيضاً إيطاليا والمجر، وغيرها من البلدان الأوربية أرسل رسائل بليغة إلى المؤمنين بدعوته من أجل النهوض للدفاع عن الأرض المقدسة، وكان ذلك فى أغسطس وسبتمبر عام ١١٩٨م. ولمدة ستة أشهر أخرى، أى حتى مارس ١١٩٩م، وجعل هذه الرسائل هادفة إلى تجمعات الشعوب المسيحية، وكان على الذين اعتزموا السفر بحراً وبراً أن يجتمعوا حتى الصيف فى مرافئ إيطاليا وصقلية (٢١).

وقد توصلت الدراسة إلى أن هذا النشاط من قبل إنوسنت الثالث قد أثمر، خاصة وأن البابا أصدر أوامره بكل صرامة إلى رؤساء الأساقفة أن يطالبوا الكاثوليك بالمشاركة فى الحملة دون قيد أو شرط أو تردد، حتى أنه أمر جميع رجال الدين، خاصة رؤساء الأساقفة منهم بعدم التردد فى إصدار قانون الجرم بحق المهملين والمقصرين حيال القضية المقدسة (٢٢).

وإمعاناً فى تحقيق إنوسنت الثالث هدفه، أعلن غفران الخطايا (٢٣) على أوسع نطاق لجميع المشتركين فى الحملة الصليبية. وأضاف إنوسنت الثالث أن الغفران الأبدى سيكون جزاءً للذين اشتركوا شخصياً فى الحملة، وكذلك الذين قدموا المحاربين المقاتلين اللازمين على حسابهم.

توصلت الدراسة أيضاً إلى أن الجانب المالى كان جزءاً لا يتجزأ من مشروع إنوسنت الثالث الصليبى، ففرض فى أواخر عام ١١٩٩م ضريبة صليبية خاصة على رجال الدين مقدارها جزء من أربعين جزء من دخل الكنائس والأديرة السنوى (٢٤). وقد قال المؤرخ الصليبى الإنجليزى ماثيو: ـ الملقب لسبب غير مفهوم بالباريسى ـ "إن ضريبة البابا لا ترضى الرب" (٢٥).

وحرصاً على إنجاح هذه الضريبة تعهد البابا بدفع ١/١٠ "عُشر" دخل الإدارة البابوية مساهمة فى إعداد الحملة.

ورغم هذا كانت ضريبة العشر سبباً فى ثورة رجال الدين وتملقهم ضد إنوسنت الثالث كذلك قاومت بعض الجمعيات الرهابنية دفع النقود الصليبية، وكانت هذه الضريبة عائقاً إلى حدٍ ما فى تجهيز حملة منظمة، مما أدى إلى إخفاق الحملة الصليبية فى نهاية الأمر ١٢١٧م على مصر، ومن قبل الحملة الصليبية الرابعة التى غيرت مسارها إلى القسطنطينية عام ١٢٠٤م.

كما أكدت الدراسة على أن حملات القرن ١٣م الصليبية كانت في مجملها حملات مغرضة لتحقيق أطماع شخصية سواء للبابوية أو للأمراء الذين قادوا هذه الحملات، فكان الفشل هو النتيجة المحققة لهذه الحملات.

أما ما يتعلق بسياسة البابا إنوسنت الثالث الدبلوماسية مع المسلمين فقد توصلت الدراسة إلى أن هذه السياسة لم تشفى غليل هذا البابا ولم تحقق أهدافه بل جاءت بالنتيجة العكسية، وأخفقت كل جهود إنوسنت الثالث في إنجاح الحركة الصليبية، فهي سياسة لم تقم على أساس سليم من حيث تبادل الأسرى بين الجانبين، أو قيام نظام تجارى له مقوماته التى تخدم الطرفين، بل كان هدف إنوسنت هو إحداث فتور فى الجانب الإسلامى يقابله تحالف وتعاون قوى الغرب للانقضاض على الإسلام والمسلمين فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى. ولكن شيء من هذا لم يحدث، اللهم أن الحملة الصليبية على مصر عام ١٢١٥/١٢١٧م والتى دعا إليها إنوسنت وكرس كل طاقات الغرب من أجل نجاحها لم تثمر وباءت بالفشل الذريع، فكانت سبباً فى ظهور خلاف ونزاع بين إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشهير الإمبراطور فردريك الثانى الذى أعلن الحرب صراحة على البابوية عقب وفاة البابا إنوسنت الثالث، وعمل جاهداً على أن يكشف مزاعم البابوية وانشغلت أوربا فى صراعها الداخلى بدلاً من التفرغ لمحاربة المسلمين فى الشرق مما جعل الحملات الصليبية التى أعقبت الحملة الصليبية الخامسة تصاب بالفتور والفشل. خاصة وأنه قد ظهر فى أفق العالم الإسلامى والعربى بعض الشخصيات التى أعادت للإسلام عزته وكرامته وألحقت بالصليبيين هزيمة نكراء وقضت على الحلم الصليبى والمشروع المزعوم نهائياً عند نهاية القرن ١٣م وعلى وجه التحديد عام ١٢٩١م على أيدى الظاهر بيبرس وسيف الدين قطز.

✍ المراجع ✍

1- ***Contor, N.F;***
"Mediaeval History",The life and Death of a Civilization, New - York 1976. PP.351 - 56.

- وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الدكتور / قاسم عبده قاسم تحت عنوان : "التاريخ الوسيط قصة الحضارة، البداية والنهاية"، القسم الثانى، دار المعارف ١٩٨٣م.
- وراجع أيضاً :

- ***Coulton, G.G;***
The Mediaeval Sc : An Informal Introduction to the Middle Ages. Cambridge (At the University Press), 1961, PP. 171 - 73.

- وقد ترجم الكتاب إلى العربية الدكتور / جوزيف نسيم يوسف تحت عنوان : "عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة" الأسكندرية ـ ١٩٨٣م.

2- ***Miller, W;***
Mediaeval Rome, P.55, and see, Stephenson, C; Mediaeval History, P.333, and see also, Grousset, R; Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem. 3 vols, Paris, 1936 (III), PP. 164 - 6.

٣- د. حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط/١، ١٩٨٩م، صـ٢٨٨ ـ ٢٩٤.
وراجع أيضاً:

- <u>Chen</u>, La Syrie du Nord, P, 621.

٤- ميخائيل زابوروف : "الصليبيون فى الشرق"، ترجمة دار التقدم ١٩٨٦م، صـ ٢٥٢-٢٥٩.

٥- ميخائيل زابوروف : المرجع السابق، نفس الصفحات.

- وراجع أيضاً : رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣ صـ ٢٣٧- ٢٥٩.

٦- ميخائيل زابوروف : المرجع السابق، نفس الصفحات السابقة.

٧- فيلهردوان : ترجمة وتعليق د.حسن حبشى تحت عنوان : "فتح القسطنطينية". صـ ١٦ : ٣٠.

وراجع أيضاً:

- Hill; History of Cyprus, vol. II, PP.53 - 55.

٨- فيلهردوان : المرجع السابق، صـ ١٦ : ١٨

وراجع أيضاً: رانسيمان، المرجع السابق، جـ٣، صـ ٢٣٧ - ٢٣٩.

9- ***Throop*** ;
Criticism of the Crusades, PP. 27 - 32.

10- Throop. OP. Cit. P. 29.

- وراجع أيضاً : ميخائيل زابوروف : المرجع السابق، صـ ٢٥٣.

11- ***Roger of Wendover***;
"Flowers of History" vol. I, PP. 162 - 163.

- وراجع أيضاً: محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، صـ١٢٥.

١٣- فيلهردوان : المرجع السابق، صـ ١٧ - ١٩.

- وراجع أيضاً: ميخائيل زابوروف : المرجع السابق، صـ ٢٥٣- ٢٥٩.

14- ***Roger of Wendover,***
OP. Cit. II, PP. 343. and see also; Cambridge, Medieaval History, vol, I, PP. 409 - 411.

- وراجع أيضاً: عمر كمال توفيق، "مملكة بيت المقدس" صـ ٣١ ـ ٣٤.

15- ***Roger of Wendover,***
Op. Cit, P. 343, and see also, Setton, S; A History of the Crusades, II, P. 380.

- وراجع أيضاً: الخطاب المتعلق بالحملة الصليبية الخامسة فى هذه الدراسة للمؤلف.

١٦- أبو شامة، "الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، جـ١، صـ١٧١.

17- ***Innocent III*;**
Annunce a Crusade in the Lateran Council 1215, CF. Tatcher, O, A; Source Book for Mediaeval History, New-York, 1905, PP. 537-544.

- وراجع للمؤلف فى هذه الدراسة الترجمة العربية لنص الخطاب بالكامل.

18- ***Innocent III*;**
Op. Cit. PP. 531 - 42 and see, Cahen, La Syrie du Nord, PP. 621 - 623.

١٩- د. قاسم عبده قاسم، رأفت عبد الحميد، "ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط"، المجلد الثانى، ١٩٨٣م، صـ ٨٣ + ١٤٥

٢٠- د. قاسم عبده قاسم، رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، نفس الصفحات، وراجع أيضاً: ميخائيل زابوروف : المرجع السابق، صـ ٢٥٦ ـ ٢٥٩.

٢١- رانسيمان، المرجع السابق، جـ٣، صـ ٢٤٨ ـ ٢٥٢.

- وراجع أيضاً : محمود سعيد عمران، المرجع السابق صـ١٢٧ـ ١٦٧.

22- ***Innocent III***;
Op. Cit, PP. 5 - 543. and see alsso, Runciman, Op . Cit, III, P. 139 and Setton, II, P. 386.

- وراجع أيضاً : محمود سعيد عمران، المرجع السابق، نفس الصفحات.

23- ***Innocent III***;
Op. Cit, PP. 539 - 540.

- وراجع "للمؤلف" نص الرسالة فى نفس الكتاب.
- وراجع أيضاً: محمود سعيد عمران، المرجع السابق، نفس الصفحات.

24- ***J.de Vitry***;
"Letters de J.de Vitry", PP. 57 - 58.

- وراجع للمؤلف "أعمال جاك دى فيترى" حيث أورد ترجمة كاملة للخطابات السبعة عن النص الأصلى اللاتينى ضمن الكتاب المترجم.

25- ***Setton***,
Op. Cit, II, 282

- وراجع أيضاً: محمود سعيد عمران، المرجع السابق، نفس الصفحات السابقة. وراجع كذلك، حسين محمد عطية، المرجع السابق، صـ ٣٠٥ ـ ٣١٠ .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

مختصرات المصادر والمراجع

*	*A.O.L.*	→ Les Archives de l'orient latin.
*	*Ency. Brit.*	→ Encyclopaedia Britannica.
*	*Ency. Intr.*	→ Encyclopaedia International.
*	*G.D.F.*	→ Bongars, Gesta Dei per Frances.
*	*Hist. Part. Alex.*	→ L'Histoire des patriarches d'Alexandrie.
*	*L.F. Crusade.*	→ The leaders of the fifth crusade.
*	*Mon. Cart.*	→ Y. Kamal, Monumenta Crtographica Africae et Agypti.
*	*R.H.C.H.Occ*	→ Recueil des Historiens des Croiades Historiens Occidentaux.
*	*R.O.L.*	→ Revue de L'Orient Latin.

مجموعات الحروب الصليبية

- ***Bongars, J. (ed.);***

Gesta Dei per Frances, sive Orientalium epejitionum et regni Francorum Hierrosolimitani historia (ab a. 1095. ad 1420) a variis sed illius aevi ceriptoribus, Litteris. 21 Hanover, 1611.

- ***Les Archives de L'Orient Latin;***

Publiéés par la Societe de L'Orient Latin, 2 vols. Paris, 1881 et 1887. Textes, inventaires, et etudes Originales.

- ***Michaud, J;***

Bibliothéquue des Croisade. 4 vols. Paris, 1829.

I- Chroniques des Frances.
II- Id. et Chroniques d'Italie et Angleterre.
III- Chroniques d'Alelmaghe, des Days du nord, Greques.
IV- Chroniques Arabes.

- ***Palestine Pilgrims text Society;***

13 vols. and general Index. London, 1887.

- ***Recheil des Historiens des Croisades;***

Publié par les Soins de L'Académie de Inscriptions et Belles lettres;

in 16 huge folio vols, 1841 - 1906.

I - *Historiens Occidentaux*;
5 tomes, 1844 - 1845.
II - *Historiens Orientaix*;
(Arabes), 5 toms, 1872 - 1906.
III- *Historiens Hrecs*;
2 tomes, 1876 - 1881.
IV- *Documents Armeniens*;
2 tomes, 1869 - 1906.
V -*Lois*;
2 tomes, 1841 - 1843.

- ***Revue de L'Orient Latin;***

Publiée sous la direction de MM. le Marquis de vogué et ch. sehefer, Paris, 1893 - 1911.

المصادر الأجنبية

- ***Albertus Standensis*** ;

  Chronnique se terminant en L'an 1256, ed. Y. Kamal, Mon. Cart. t . III. Fase. IV, 1934.

- ***Alexandre III***;

  Lettre au Pretre - Jean 1177, C.F, Y. Kamal, Mon. Cart. t. III fase. IV. 1934.

- ***Annales de terre Sainte; CF.***

  A.O. L . Tome, II, Paris, 1884.

- ***Burchrd of Mount Sion;***

  A Description of the Holy Land. Trans. from the Origintal Latin by Aubrey Stewart, London, 1896.

- ***Chronoque de tours;***

  D'Auteur Inconnu et se terminant en 1227, CF. Y. Kamal, Mon. Carn. t. III, Fse. IV, 1934.

- كلارى - روبــرت : سـقوط القسـطنطينية ـ ترجمـة د/ حسـن حبشـى - القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط ١٩٦٤.

- ***Eracles;***

  L'Estoire de Eracles Empereur et la conquette de la terre d'Outremer. CF. R.H.C.H. Occ. t. II, 20 parite. Paris, 1859.

- ***Frederick, II;***

  Promise to Innocent III, 1213 CF. Thatcher, O, A Source Book for Mediaeval History, New - York, 1904.

- فلهردوان : فتح القسطنطينية، ترجمة د/ حسن حبشي، جدة، ١٤٥٣هـ.

- ***Innocent III;***

I - Annunce a Crusade in the Lateran Council 1215, CF thatcer. O, A Source Book for Mediaeval History, New - York 1905.

II - Letter to the English Barons 1216, CF. Thatcher, O A Source Book for Mediaeval History, New - York 1905.

III- Letter to the Pope of Vince 1198, CF. Thatcher, O; A Source Book for Mediaeval History, New - York 1905.

- وننبه هنا إلى أن الدراسة تفردت بترجمة أربعة عشر وثيقة للبابا إنوسنت الثالث من الأصل اللاتينى إلى اللغة العربية. (المؤلف).

- ***L.F. Crusade;***

1- Letter to the Pope Honorrius III, dated 5 June, 1218, CF. Rohrich, R. Funften Kreuzzuges, Innsbuck, 1891.

2- Letter to the Pope Honorrius III, dated 10 Nov. 1219. CF. Rohricht. R. Funften Kreuzzugest. Innsbuck, 1891.

3- Letter to the Pope Honorrius III, dated 11 Nov. 1219. CF. Rohricht. R. Funften Kreuzzugest. Innsbuck, 1891.

4- Letter to the Pope Honorrius III, dated 12 Nov. 1219. CF. Rohricht. R. Funften Kreuzzugest. Innsbuck, 1891.

- ***Ludolph Von Suchen;***

A Description of the Holy Land. Trans. by Aubrey Stewart, London, 1895.

- ***Matthew of Westminister;***

The flowers of History, trans. from the Original by C.D. Yonge. 2vols, London, 1853.

- ***Matthew Paris;***
  English History from the year 1273, tran. from the Latin by J.A.Giles. 2 vols. London, 1852.
- ***Marino Sanuto;***
  Secrets for true Cruaders, Trans. by Aubrey Stewart, London, 1896.
- ***Oliver of Padenborn;***
  The Capture of Damietta, trans. John J. Cavigan. Philadelphia, 1948.

Oliver Scolastique;
  Letter of the King of Egypt, El - Kamel Mohamed (1218 - 1238) Rohricht, Geschichte des Konogreichs Jerusalem, Innsbruck, 1898.
- ***Patriache de Jerusalem;***
  Rapport au Pape Innocent III, dated 1214, CF.Y. Kamal , Mon Cart; t. III Fasc. IV, 1034. P. (932).
- ***Philipe de Albency;***
  Letter to Ralph Earl of Chester entitled "of the loss of Damiette" CF. Roger of Wendover, Flowers of History, II, London, 1849.
- ***Roger of Wendover;***
  Flowers of History 2 vols, trans. from the latin by J. A. Giles, J.A.Z 2 vols, London, 1849.
- ***Vitry . Jacques de*** ;
  The History of Jerusalem, trans , from the Original Latin by Aubrey Stewart, London, 1896.
- انظر الترجمة العربية للمؤلف ضمن كتاب "أعمال جـاك دى فيـترى" - القاهر ٢٠٠٤م.
- ***Wiegler, Paul;***
  The Infidel enperor and his struggle against the pope, trans. by B.W.Downs, London. 1930.
- وليم الصورى : تاريخ الحروب الصليبية
  ترجمة وتعليق : وليم الصورى، ٤أجزاء ، القاهرة ١٩٩٠ـ ١٩٩٥م

المخطوطات

* ابن بهادر (عاش في ق٩ هـ ـ١٥م) محمد بن محمد بن بهادر : "فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر" دار الكتب المصرية ـ رقم ٤١١٧ تاريخ.
* ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ ـ ١٤٠٧م) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن إيدمر العلائى "الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين" دار الكتب المصرية ـ رقم ٥٢٢ تاريخ.
* ابن الفرات (٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات : "تاريخ الدول والملوك" ١٨جـ ـ دار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ "تصوير شمسى".
* ابن واصل (٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سليم : "تاريخ الواصلين" ٢جـ ـ دار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩. تاريخ "تصوير شمسى".
* أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ ـ ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا. "التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك" ـ دار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم ١٥٦٧ عن النسخة رقم ٢٠١٨ تاريخ.
* أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ ـ ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن تغرّ بردى الأتابكى.

١ ـ "المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى" ٥ جـ ـ دار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥ تاريخ.

٢ ـ "مورد اللطافة فيمن ولو السلطنة والخلافة" ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ١٣٥٦ تاريخ".

* العينى (ت ٨٥٥هـ ـ ١٤٥١م) بدر الدين : "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" ٢٣ جـ في ٦٩ مجلد ـ دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ـ "تصوير شمسى".
* النويرى الكندى (ت ٧٣١ هـ ـ ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد : "نهاية الأرب في فنون الأدب" ٥٥ مجلد ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٥٤٩ معارف عامة "تصوير شمسى"

المصادر العربية

- ابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٤م) أبو الحسن على أبى الكرم الملقب عز الدين:
  "الكامل فى التاريخ" ـ ١٢ جـ فى ١٢ مجلد ليدن ١٨٥٣م.
- ابن إياس (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) أبو البركات محمد بن أحمد.
  "كتاب تاريخ مصر، المعروف بـ"بدائع الزهور فى وقائع الدهور" ٤ جـ ـ ط/١ القاهرة (بولاق) ١٣١١ - ١٣١٤هـ.
- ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) أبو عبدالله محمد بن عبدالله.
  "مهذب رحلة بن بطوطة المسماه "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ـ ٢جـ ـ القاهرة (بولاق) ١٩٣٤ - ١٩٣٧م.
- ابن جبير (ت ٦١٢٤هـ / ١٢١٦م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسى.
  "رحلة بن جبير" الطبعة الأولى ـ القاهرة مطبعة السعادة ،(١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م).
- ابن الجيعان (ت ٨٨٥هـ / ١٠٨٠م) شرف الدين يحيى بن المعز :
  "التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية" القاهرة (بولاق) ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م
- ابن الجوزى (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) أبوالمظفر شمس الدين :
  "مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان" المجلد الثامن ـ جـ ١،٢صيدر آباد ـ ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- ابن حوقل (عاش فى ق٤هـ / العاشر الميلادى) أبو القاسم محمد :
  "كتاب صورة الأرض" الطبعة ـ الثامنة ـ ليدن ١٩٣٨ـ ١٩٣٩م.
- ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ /١٤٠٦م) عبد الرحمن محمد :
  "العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر" ٧جـ ـ القاهرة (بولاق) ١٢٨٤هـ .
- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ٢جـ ـ القاهرة ـ بولاق ـ١٢٧٥هـ .

- ابن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٨م) أبو المحاس يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة: سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماه "بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٦٤م.
- ابن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) أبو الفلاح عبد الحى بن عيسى بن محمد :
  " شذرات الذهب فى أخبار من ذهب" - ٨جـ - القاهرة - ١٣٤٠-١٣٥١هـ
- ابن القلانسى (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على ابن محمد - تاريخ أبو يعلى حمزة بن القلانسى، المعروف "بذيل تاريخ دمشق"، بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م
- ابن كثير القرشى (ت٧٧٤هـ /١٣٧٣م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر :
  "البداية والنهاية فى التاريخ" ١٤جـ ، القاهرة (مطبعة السعادة١٣٥١- ١٢٥٨هـ
- ابن ميسر (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م) محمد بن على بن يوسف من حلب.
  " أخبار مصر" ٢جـ ـ نشر هنرى ماسيه ـ القاهرة، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ١٩١٩م.
- ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) جمال الدين أبوعبد الله محمد بن سليم. " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب" ٤جـ ـ ١، ٢، ٣ تحقيق الدكتور/ جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٠م، جـ٤ تحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع ـ القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٧٢م
- أبو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان شهاب الدين :

١- كتاب "الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية" جزءان فى مجلد واحد، القاهرة، مطبعة وادى النيل١٢٨٧/١٢٨٨هـ.

٢- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ "الذيل على الروضين" نشرة السيد عزت العطار الحسينى ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة١٣٦٦هـ/١٩٤٧م

* أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن على
١- " المختصر فى أخبار البشر"، ويعرف بتاريخ ابى الفدا ٤جـ ـ الأستانة ـ دار الطباعة الشهانية ١٢٨٦هـ
٢- "تقويم البلدان" نشره رينو وديسلان باريس" (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٠م.
* أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن تغريردى :
" النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " ٩جـ ـــ القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٨ـ ١٣٦١هـ/١٩٢٩ـ ١٩٤٢م
* الأصطخرى (عاش فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) أبو إسحق إبراهيم بن محمد :
"مسالك الممالك" وهو معول على كتاب صورة الأقاليم ـ ليدن ١٩٢٧م
* القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله :
"صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" ١٤هـ القاهرة، ١٩١٣ـ١٩٢٠م.
* المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد :
١- " المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار" ٤جـ ـــ القاهرة، مطبعة النيل ١٣٢٤ـ١٣٢٦هـ
٢- " السلوك لمعرفة دول الملوك " الجزءان الأول والثانى إلى سنة ٧٤١هـ نشره وعلق عليه الدكتور/ محمد مصطفى زيادة ـــ القاهرة ـــ دار الكتب المصرية ـ ١٩٣٤ـ١٩٤٢م.
٣- "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخفا" نشر وتحقيق الدكتور/جمال الدين الشيال ـ القاهرة ـ ١٩٤٨م.
٤- "إغاثة الأمة بكشف الغمة " نشر الدكتور/محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال. القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م
* ياقوت الرومى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين:
معجم البلدان " ٥جـ وفهرس ـ ليبزج ١٨٩٠م.

المراجع الأجنبية

* ***Archer, t. A***;

The Crusades: The story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1894.

* ***Atiya, A. S***;

The Crusades in the later Middle Ages, London, 1938.

* ***Berker, E***;

The Crusades, London, 1925.

* ***Brehier, L***;

L'Eglise et L'Orient au Moyen age, Les Croisades, 5 tom. ed. Paris, 1928.

* ***Calthrop. M***;

1- The Crüsades, London, 1913.

2- The Cambridge Medieval History, 8 vols. Cambridge, 1911 - 1936.

* ***Campbell. G***;

The Crusades, London, 1935.

* ***Conder, C.R***;

The Latin Kingdom of Jerusalem, 1009 - 1291, london, 1897.

* ***Donovan, J.P***;

Pelaguis and the fifth The Crusades, 1950.

* ***Duggan, A***;

The story of Crusades, 1097 - 1291, Lodon, 1963.

* ***Duruy, V***;

Histoire du Moyen Age, 9th. ed. Paris, 1897.

* ***Deschamp. p***;

La Syrie Antique et Medievale III ustrée, Paris, 1931.

* ***Frood, E*;**
The Byzantine Empire. London, 1911.
* ***Gibbon, E*;**
The Crusades, A.D.1095 - 1291, London, 1870.
* ***Grousset, R*;**
Histoire des Croisades et du Ruyaume Franc de Jerusalem. 3 tom. Paris, 1936.
* ***Hyed, W*;**
Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age 2 vols. Leipzig, Paris, 1924,
– وللكتاب ترجمة عربية، تحت عنوان : هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٦م.
* ***Kantorowicz, E*;**
Frederick the Second, London, 1931.
* ***King, E*;**
The Kinghts Hospitallers in the Holy Land, Lomdon, 1931.
* ***La Monte, J;***
The world of the Middle Ages. New - York, 1949.
* ***Lane - Poole, st*;**
- A History of Egypt in the Middle Ages. 4th. ed. London, 1925.
- The Story of Cairo, London, 1902.
* ***Michaud, M;***
History of the Crusades. trans from the Franch, by W. Robson in 3 vols. London,1852.
* ***Omar Tausson;***
Memoire Sur L'histoire du Nil, 3 toms. Le Caire, 1925.

* ***Ostrogrsky, G***;

History of the Byzantine State. Trans by Joan, Hussey, Oxford, 1956.

* ***Runciman, S;***

The History of Crusades,3 vols. Cambridge, 1954.

* ***Setton, R;***

A History of the Crusades, 2vols. Pennsylvania, 1952 - 1958.

* ***Smail, R;***

Crusading Warfare,(1097-1193)Cambridge, 1956.

* ***Stevenson, W;***

the Crusades in the East. Cambridge, 1907.

* ***Tout, t;***

The Empire and the Papcy, European History, 918 - 1213. 5th. ed. London, 1909.

* ***Vasiliev, A;***

Histoire de L'Empire Byzantine, Trans du Russe par P. Bordin et A Bourguina. Prefancs de M. Ch. Dichl. 2 vols. Paris, 1932.

* ***Youssouf Kamal;***

Monumenta Cartographica A Frica et Egypte, t. III Epoque Arabe, 5 fasc, 1930 - 1935.

المراجع العربية والمعربة

- **أحمد شلبى (دكتور) :**

الحروب الصليبية، إحدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب (المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية) ١٩٦٦م.

- **أحمد مختار العبادى (دكتور) :**

تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام. جامعة بيروت العربية ١٩٧٢م.

- **السيد الباز العرينى (دكتور) :**

١- مصر فى عصر الأيوبين ، القاهرة ـ مطبعة الكيلانى الصغير ١٩٦٠م.

٢- مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٢م.

- **السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :**

تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ـ بيروت، ١٩٦٩.

- **أومان (تشارلس) :**

الإمبراطورية البيزنطية، تعريب مصطفى طه بدر ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى، ١٩٥٣م.

- **إيريس حبيب المصرى:**

قصة الكنيسة القبطية ـ ٣جـ الأسكندرية مطبعة الكرنك، ١٩٧١م.

- **جمال الدين الشيال (دكتور) :**

١- "مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً" الأسكندرية ـ مطبعة مدرسة دون موسكو ١٩٤٩م.

٢- "تاريخ مصر الإسلامية" ٢جـ الأسكندرية دار المعارف.ب ت.

- **جوزيف جاى ديس :**

الزنديق الأعظم "قصته وسيرته " ترجمة أحمد نجيب هاشم ـ القاهرة. د .ت.

* جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :
١- "الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية". مجلة كلية الآداب ــ الأسكندرية ــ العدد ٢٦ــ٢٧ــ١٩٦٢ص١٨٣ــ٢٠٥.
٢- "العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى" ــ ط/٢، الأسكندرية ــ دار المعارف بمصر١٩٦٧م.
٣- "الوحدة وحركات اليقظة العربية أبان العدوان الصليبى" ــ الأسكندرية ــ دار المعارف بمصر١٩٦٧م.
٤- "العدوان الصليبى والرأى العام الغربى" ــ سلسلة محاضرات ــ جامعة الأسكندرية ٦٧ ــ ٦٨. مطبعة جامعة الأسكندرية ١٩٦٨م.
٥- "العدوان الصليبى على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة)" ط/٣ــ الأسكندرية ــ دار الكتب الجامعية ١٩٧١م.
٦- "نشأت الجامعات فى العصور الوسطى"، ط/١ــ الأسكندرية ــ منشأة المعارف ١٩٧١م.
* حسن إبراهيم حسن (دكتور) :
"تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب" ــ ط/٢ــ القاهرة مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٦٤م.
* حسن حبشى (دكتور) :
١- "الحروب الصليبية الأولى". ط/١ــ القاهرة ــ مطبعة الإعتماد١٩٤٧م.
٢- "نورالدين محمود والصليبيون" ــ القاهرة دار الفكر العربى ــ ١٩٤٨م.
٣- "الشرق العربى بين شقى الرحى" ــ حملة لويس على مصر والشام ــ القاهرة ١٩٤٩م.
* ديفــز (هـ. و.) :

"أوربا العصور الوسطى، ترجمة د. عبد الحميد حمدى محمود، ط/١. الأسكندرية منشأة المعارف ١٩٥٨م.

* سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

١- "قبرس والحروب الصليبية" ـــ القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

٢- "الحركة الصليبية" ـــ ٢جـ ، ط/١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.

٣- "أوربا العصور الوسطى" ٢جـ ،ط/٣ القاهرة ،١٩٦٤م.

٤ "العصر المملوكى فى مصر والشام" ط/١ القاهرة ـــ دار النهضة العربية، ١٩٦٥م.

* عبد الرحمن زكى (دكتور) :

١ "معارك حاسمة فى تاريخ مصر" ـ القاهرة مطبعة النيل ١٩٤٥م.

٢ - "سفن الأسطول الإسلامى وأنواعها ومعداتها فى الإسلام" ـ القاهرة ـــ مطبعة الهلال. الفجالة بمصر ١٩١٤م.

* عبد اللطيف عبد الهادى السيد (دكتور) :

١ " السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الثالث (١١٤٣ـ١١٦٣م)". رسالة ماجستير غير منشورة ـــ كلية الآداب ـــ جامعة عين شمس ١٩٩٠م.

٢- " الحركة الصليبية خلال النصف الأول من القرن ١٣م من خلال كتابات جاك دى فيترى". رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق ١٩٩٧م.

* عبد الغنى محمود عبد العاطى (دكتور):

السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ألكسيوس كومنين ١٠٨١ـ ١١١٨م القاهرة ـ دار المعارف ١٩٨٣م

* علی إبراهيم حسن (دكتور):
مصر فی العصور الوسطی من الفتح العربی حتی الفتح العثمانی، الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩م.
* عمر كمال توفيق (دكتور)
١- مملكة بيت المقدس ـ الإسكندرية ـ مطبعة رويال ١٩٥٨م.
٢- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ـ الإسكندرية دار المعارف١٩٦٧م
٣- مقدمات العدوان الصليبی علی الشرق" الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩ــ٩٧٦م" طبعة ثانية الإسكندرية ــ دار المعارف١٩٦٧م.
٤- "المؤرخ وليم الصوری" ــ مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية (العدد٢١ لسنة١٩٦٧م) مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٦٨م. ص١٨١ــ٢٠٠
* محمد كرد علی :
كتاب خطط الشام ٦جـ ــ دمشق (دار الطبعة الحديثة) ١٣٤٣ـ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٥ـ ١٩٣٨م.
* محمد محمد مرسی الشيخ (دكتور):
"الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتی سقوط الرها" ١٠٩٧ــ ١١٤٤م ــ الإسكندرية ١٩٧٢م.
* مكسيموس مونروند :
"تاريخ الحروب المقدسة فی المشرق المدعوة حرب الصليب" ــ ترجمة عن الفرنسية إلی العربية مكسيموس مظلوم ـ٢جـ فی مجلد واحد ــ أورشليم ١٨٦٥م.

محمد مؤنس احمد عوض (دكتور) :
١- ببليوجرافيا الحروب الصليبية، المراجع العربية والمعربة، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ـ مجلد (٣) ١٩٨٥م.
٢- "الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس" ١٠٩٩ـ١١٨٧م ط القاهرة ١٩٩٥م.
٣- "الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ط القاهرة ١٩٩٥م.
٤- "الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية" ط القاهرة ١٩٩٦م
٥ "فصول ببليوجرافية في تاريخ الحروب الصليبية" ط القاهرة ١٩٩٧م

* محمود الحويري (دكتور):
"الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين١٢-١٣م ط القاهرة ١٩٧٩م.

* مصطفى زيادة (دكتور) :
"مصر والحروب الصليبية" ط. القاهرة ١٩٤٣م.

* مصطفى الكناني (دكتور):
"العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ١١٧١ـ١٢٩١م ط الأسكندرية ١٩٨٠م.

* ميخائيل زابوروف :
"الصليبيون في الشرق"، ترجمة إلياس شاهين ط ، موسكو ١٩٨٦م

* نبيله مقامى (دكتور):
"فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين١٢،١٣م" رسالة ماجستير كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٤م. نشرت بالقاهرة عام١٩٩٤م

- نظير حسان سعداوى (دكتور) :

"التـاريخ الحربـى المصـرى فـى عهـد صـلاح الديـن الأيوبـى". طبعـة القـاهرة ١٩٥٨م.

- نقولا زيادة (دكتور):

"الطرق التجارية فى العصور الوسطى"، مجلة تاريخ العـرب والعـالم، العـددان (٥٩)، (٦٠) السنة الخامسة، ١٩٨٣م.

- هســـــى :

"العالم البيزنطى"، ترجمة رأفت عبد الحميد ط.القاهرة ١٩٧٧م.

- وسام عبدالعزيز فرج (دكتور) :

دراسـات فـى تـاريخ وحضـارة الامبراطوريـة البيزنطيـة (٧٢٤ - ١٠٢٥) الإسكندرية ١٩١٢م.

- يوشـع بـراور:

"عالم الصليبيين"، ترجمة قاسم عبده قاسم - وخليفة، ط. القاهرة، ١٩٨١م.

